تأسيس الدولة الزيدية في اليمن

مقاربة سوسيولوجية لتجربة الهادي الرسي السياسية (٢٨٤-٢٩٧هـ)

عبدالملك العجري

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م

تنسيق وإخراج	محمد عبد الرحمن أبو طالب
البريد الكتروني	mr.abotalab@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

جاء الإمام الهادي يحيى بن الحسين (ع) إلى اليمن في نهاية القرن الثالث الهجري بدعوة من كبار اليمنيين، وهو يحمل مشروع إقامة الدولة العادلة، التي يرتكز قيامها على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تلك "العملية السياسية الاجتماعية التي شرعها الإسلام لتصحيح الانحراف في الحكم داخل المجتمع المسلم في حركة تغيير على كل مسلم المشاركة فيها".

وقد قاد الامام الهادي عملية بناء هذه الدولة على ذلك المبدأ، والتي يعد قيامها لديه أصلاً من أصول الدين على كل مسلم وجوب القيام به، كون الدولة (أو الإمامة) هي المسؤولة عن إقامة الدين في حياة الناس وواقع الحياة، وتطبيق أوامره ونواهيه.

ولأن قيام هذه الدولة يقتضي أن تكون السيادة فيها للشريعة، حيث يصبح الأفراد فيها أمام الأحكام الشرعية سواسية؛ فيتجسد العدل، وتتحقق المواطنة المتساوية، التي يحتمي بها المواطن من الظلم. وهذا ما جعل مفهوم الأخوة في الدين والمواطنة الواحدة أساس تلك الدولة، متجاوزة مفهوم القبيلية.

وقد جاءت دراسة الكاتب والباحث عبدالملك العجري لتتطرق ومن زوايا غير مطروقة، إلى طبيعة الصراع بين القبيلة المحدودة الانتماء والولاء، وبين الدولة الأممية في النظرة والتشريع، والتي جاء الإمام الهادي ليرسي دعائمها.

ولعلها الدراسة الأولى التي ناقشت دولة الهادي ومدى نجاحها، وما مدى دور القبيلة كعائق لتلك الدولة وذلك النجاح، في لغة راقية ومنطق تاريخي عاقل يستدعي ويمزج بين التاريخ السياسي والاجتماعي بواقعية في الطرح والاستنتاج.

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي دخلت التاريخ المحذور، أو ما كان محذوراً، وفي بحث جاد لمفهوم الدولة المعاصرة من تطبيق يمني في التاريخ.

عبدالله هاشم السياني

رئيس مركز الرائد للدراسات والبحوث

مقدمة

أهميـة هـذه المقاربـة في محاولتهـا لإعـادة قـراءة التـاريخ الـسياسي والحضاري للزيدية في اليمن ماله وماعليه؛ بعد فترة طويلة من استمرار سيطرة المناخ النفسي والسياسي والايديولوجي الـذي رافـق قيـام ثـورة سبتمبر، والذي جاء حصادا لتراكمات سنوات من الـصراع بـين النظـام المتوكلي والقوى السياسية المعارضة لهـا منـذ أربعينيـات القـرن المـاضي مرورا بالحرب الأهلية عقيب الثـورة ومـا أفرزتـه مـن عواطـف ثأريـة وعصبوية .

كان هذا المناخ المشحون بأفكار الغـل العـصبوي والمـسمم بالعرقيـة والطائفيــة وانفعــالات سياســية وتــشنجات طائفيــة وخــصومات أيديولوجية يلقي بظلاله على جميع مظاهر الحياة الـسياسية والاجتماعيـة والثقافية والأدبية؛ وفي مجال الدراسات التاريخية بالذات ظهرت الكثـير من الدراسـات والكتابـات كانـت تـسضمر تـشويه الحقـائق التاريخيـة وتنطلق من موقـف أيـديولوجي مخاصـم وتوسـلت بـأدوات التحليـل الاجتماعي لتكـريس ذاكـرة جمعيـة عدائيـة ورسـم إحـداثيات مـشوهة لخارطة الاجتماع اليمني، وتذخير الضمير الوطني، وتبخـيس الرأسـمال

الزيدي، وتشكيل صورة ممقوته عن الموروث المعرفي والتاريخ السياسي للزيدية، واستهداف رموزهم التاريخية وإضفاء مفردات بعينها للاشتغال عليها وفي سبيل تحقيق هدفها في تصفية هذا التاريخ بدا للبعض أن يقتلع تجربة عشرة قرون من تاريخ اليمن الوسيط والحديث وصار في عرف هذه الكتابات كل تمرد ثورة وإن كان من غير هدف، وكل معارضة إصلاح وكل عنصرية وطنية، وقد شكل هذا المناخ عائقا معرفيا "ابستمولوجي" صعب من قدرتْ الدراسات التاريخية على المقاربة غير المتواطئة للتاريخ السياسي للزيدية في اليمن وموضعته داخل سوارات نضالية بالذات مخرجات مركز الدراسات والبحوث اليمني الذي يرأسه الدكتور عبدالعزيز المقالح الذي سخر لأهداف سياسية نظالية .

وقد تلطفت نسبياً أجواء هذا المناخ في فترة متأخرة، وظهرت مبادرات خجولة لبعض رموز الثقافة والأدب في مراجعة مواقفها، والدعوة إلى إعادة قراءة الحسابات، وظهرت دراسات تاريخية على قدر من الرصانة والجدية خاصة منذ نهايات العشرية الثامنة من القرن الماضي؛ لكن المشكل أن أبسط الاضطرابات الأمنية -كما حدث مع بروز قضية صعدة وجماعة أنصار الله "الحوثية"- تعيد استحياء تلك المناخات إلى المشهد و تعيد تعكير الحياة العلمية والفكرية، وتسميم

الحياة السياسية، وترفع من وتيرة القراءات الرهابية، وتعزز من الأفكار القهرية المزمنة التي تتلبس سياسيين وكتاباً لم يفلحوا في مغادرة فوبيا الماضي ولا تريد قراءة الأحداث إلا في سياقات ماضوية، وترديد ذات المعزوفات الخشبية والمقولات البائدة والخطاب المشاكس العالق بشرانقه الأيديولوجية والعصبوية.

وعليه تاتي هذه المقاربة السوسيولوجية للتجربة السياسية للهادي كمؤسس للدولة الزيدية على أساس أن أي تجربة سياسية تأتي على رأس شبكة من العلاقات المتجادلة بين المتغيرات البنوية للمجتمع الاقتصادية والاجتماعية والمعرفية والتي تعكس نفسها في تشكل وصياغة التجربة السياسية.

ولا يفوتني هنا أن أنوه أن هذا البحث كنت قد أعددته قبل ما يزيد على الثلاثة الأعوام وكانت نيتي أن أعيد مراجعته وتطويره وتوسيعه خاصة وقد توافر لدي من المراجع ما لم يكن متوفرا قبلا وذلك قبل أن يتم نشره إلا أن انشغالات كثيرة حالت بيني وبين رغبتي هذه .

عبدالملك العجري – صنعاء

١٣-٠٨-٢٠١٤

مدخل:

لم يكن الصعود السياسي للعائلة الأموية محل رضا وترحيب من قبل قوى سياسية ودينية واجتماعية مؤثرة وأساسية في المجتمع الإسلامي آنذاك، بل إن سياسة الدولة الأموية والتحولات السياسية والاجتماعية والفكرية التي أحدثتها في المجتمع الإسلامي كانت تزيد من إثارة نقمة المسلمين عليها، ومنذ قيامها واجهت معارضة سياسية وحركات احتجاجية وثورية، كالثورة التي قادها الحسين بن علي وثورة عبدالله بن الزبير وثورات الخوارج .

أدى اشتداد الدولة الأموية في البطش بمعارضيها، والوحشية في قمع خصومها، والنهاية الدرامية لمذبحة كربلاء الى إفراز جملة من المواقف السياسية المختلفة، وأخذت معظم قوى المعارضة في مراجعة حساباتها، فمال البعض لسياسة المهادنة والتكيف مع الوضع القائم واللجوء إلى التبرير وقد شجعت الدولة الأموية على تنامي هذا التوجه، وزهد آخرون في السياسة مفضلين المعارضة السلبية بالانسحاب من الحياة العامة، والوقوف على الحياد، وفريق آخر رأى الاكتفاء بالمقاومة والإصلاح الفكريين، وبقي فريق لا يقبل إلا بالإصلاح الشامل الديني والاجتماعي والسياسي، ويرفض التكيف مع الوضع القائم أو المهادنة

معه والقبول بسياسة الأمر الواقع، ويرى أن تردي الواقع السياسي والبؤس الاجتماعي يستدعي التحرك العاجل بكل السبل والوسائل المتاحة بوجه التمادي الأموي، وكان على رأس هذا الفريق الإمام زيد بن علي (٨٠-١٢٢) مؤسس المذهب الزيدي.

وإلى وقت قيام ثورة زيد بن علي كانت المعارضة السياسية حركة بدون عقيدة محددة والجدل العقدي كان لايزال في بدايته لم يتبلور بعد في منظومات عقدية تتوزع المسلمين إلى فرق وطوائف، ولذلك كان معسكر الإمام زيد لفيفا غير متجانس مذهبياً. وأدى إخفاقه في الإطاحة بالحاكم الأموي هشام بن عبدالملك (٧١-١٢٥) إلى تعميق الفرز للمواقف السياسية في معسكر الإمام زيد نفسه ومكونات المجتمع الإسلامي بشكل عام، وكان كل مكون من هذه المكونات يتأثر في قراءته للدين بموقفه من الصراعات السوسيوسياسية؛ ويصوغ منظومته العقدية والتشريعية بما ينسجم وموقفه السياسي أو بوحي منه، ومن ثمة أصبحت الزيدية أيديولوجية الثورة، ومن ناحية أخرى ضاعف إخفاق الثوار من محنة المعارضين للدولة الأموية لا سيما العلويين، وعمدت السلطات الاموية ومن بعدها العباسية إلى تكثيف إجراءاتها القمعية ضد العلويين ومشايعيهم ما دفع بهم إلى التفكير في أماكن أخرى بعيداً عن أعين الدولة العباسية لا سيما تلك الواقعة في

الأطراف حيث تضعف قبضة الدولة المركزية، فلجأ إدريس بن عبدالله (تـ١٧٧) إلى المغرب الأقصى في أفريقيا ليؤسس هناك الدولة الإدريسية الزيدية، إلا أنها لم تعمر طويلا فقد انتهى أمرها بسقوط مدينة فاس بيد الدولة الفاطمية عام (٢١٢)وبسقوط فاس انتهى أمر الزيدية بالمغرب سياسيا وفكريا، وفي طبرستان جنوب بحر الخزر أسس الحسن بن زيد بن محمد(تـ٢٧٠)الملقب بالداعي الدولة الزيدية، وقد انحسر الوجود الزيدي فيها بعد قرون لصالح الشيعة الإثني عشرية .

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري انتهت القيادة الروحية والسياسية للزيدية إلى يحي بن الحسين الرسي(٢٤٥-٢٩٨) الملقب بالهادي إلى الحق الذي أسس الدولة الزيدية في اليمن، والتي تعد الأطول عمرا من بين الدول الإسلامية .

وتهدف هذه المقاربة السوسيولوجية إلى التعرف على أثر التركيبة القبلية للمجتمع اليمني على الدور السياسي والحضاري للزيدية في مرحلة من أهم مراحلها وهي مرحلة التأسيس، وإعادة قراءة تجربة الهادي الرسي وحركته الإصلاحية في ضوء تمثلها لمنظومة البنى التحتية للمجتمع اليمني كما كانت على عهده، على أساس أن أي تجربة سياسية تأتي على رأس شبكة من العلاقات المتجادلة بين المتغيرات البنيوية للمجتمع الاقتصادية والاجتماعية والمعرفية والسيكلوجية والتي تعكس نفسها في تشكل وصياغة التجربة السياسية .

وهي ليست أكثر من محاولة وإلا فالموضوع يتطلب دراسة مستفيضة ومعمقة للخروج بنتائج أكثر تفصيلاً، وثانياً المصادرالتاريخية التي تمكنت من الإطلاع عليها تناولت العهد السياسي للهادي ولم تهتم كثيراً لتدوين تفاصيل الحياة الاجتماعية والمعرفية والاقتصادية، وكان تركيزها على تسجيل سير أحداث الصراع العسكري .

الهادي المفكر والمناضل:

يعتبر تحليل شخصية الهادي والتكوين العلمي والنفسي والاجتماعي والفسيولوجي له والقيادة الكاريزمية والدينية الملهمة من المفاتيح الأساسية لفهم تجربته السياسية ومشروعه الإصلاحي، حيث تشير بعض النظريات الاجتماعية أن هناك أشخاصاً يولدون ليكونوا قادة، وإذا صحت هذه النظرية فإنها لاتنطبق على أحد قدر انطباقها على شخصية الهادي يحي بن الحسين(٢٤٥-٢٩٧) كما تصوره المصادر التاريخية - فهو من نوع تلك الشخصيات الاستثنائية التي خلقت للتولي مهام قيادية غير عادية، إذ ولد مزودا بيولوجياً بأهم السمات المكونة للشخصية القيادية .

يتحدث المؤرخون عن نشأته وبنائه الفسيولوجي أنه كان في صباه يدخل السوق ويقول ما طعامكم هذا فيقال حنطة فيدخل يده في الوعاء فيأخذ ما في كفه ويطحنه بيده ثم يخرجها ويقول هذا دقيق.

روى أبو طالب أنه كان غلاما حزروا بالمدينة وكـان طبيـب سريـاني يختلف إلى أبيه الحسين بن القاسم على حمار يعالجـه مـن مـرض أصـابه، فنزل عن الحمار يوماً، وتركه على البـاب، فأخـذ يحيـى الحـمار وأصـعده السطح، فلما خرج الطبيب لم يجد الحمار، فقيل صعد بـه يحيـى فـسأله أن ينزله، ومن ثم كان المثل السائر **"ينزل الحمار من صعد به"**، فأنزله وقد دميت نابه، فبلغ ذلك أباه فزجره وخاف أن ترمقه العيون، وكان يعمـد إلى القضيب من الحديد فيلويه على عنق خصمه، ثم يعـاود إلى تـسويته، ما يدل على متانة بنائه الجسدي الخارجي، وكان يزيد من هيبتـه الهيكـل الأسدي كما تصوره المصادر التاريخية على **"أنه كان أسديا أنجل العـين واسع الساعدين غليظهما، بعيد ما بين المنكبين والصدر، خفيف الساقين والعجز كالأسد"**[(١)].

وبالإضافة إلى متانة بنائه الجسدي بدت عليه مبكراً ملامـح النجابـة والنباهـة والنبـوغ وتبـين عـن مقـدرات عقليـة متقدمـة، تـذكر بعـض الروايات أنه بدأ التصنيف وله من العمر سبع عشرة سنة[(٢)].

---

(١) الحسن حسام الدين حميد بن أحمد المحلي؛ **"الحـدائق الورديـة في مناقـب أئمـة الزيدية"**، (مخطوط) ج٢ صـ١٥.

(٢) نفس المصدر.

وقد تضافرت هذه العوامل فى تشكيل وبناء ديناميات الجذب لشخصيته وإخراجها على نحو كارزمي مؤثر، يستشف هذا من مظاهر الإجلال والتعظيم التي كان يحاط بها فى محيطه العائلي والاجتماعي، وعلى حد الناطق بالحق بأنه لم يسمع **"بأنه ما بلغ من تعظيم بشر لإنسان ما كان من تعظيم أبيه وعمومته له ولم يكونوا يخاطبونه إلا بالإمام"**[1] .

ومن دلائل تميزه اعتراف العلويين بزعامته، ولعل هذا هو ما حمل الزيدية وخاصة فى الحجاز بأن يعقدوا له البيعة ٢٨٠/ ٨٩٣ قبل ان يفكر بالذهاب إلى اليمن وهو ابن خمس وثلاثين سنة مع وجود أبيه وأعمامه على قيد الحياة.

وكانت كارزما شخصيته تفرض هيبةً حضوراً طاغياً ومؤثراً على أي مجلس يشهده ويثير حفيظة منافسيه، كما حدث مع الداعي محمد بن زيد حاكم طبرستان بعد أن قصدها الهادي في جماعة من أهل بيته بينهم أبوه وبعض أعمامه، وريثما نزلوا بخان يسمى خان العلا بآمل، وقبل أن يستقر بهم المقام تقاطر أهالي طبرستان عليهم حتى ضاق الخان بالناس،

---

(١) يحيى بن الحسين الهاروني (١٩٩٦)، **الإفادة في تاريخ أئمة الزيدية**، تحقيق محمد عزان، ط١، دار الحكمة اليمانية – صنعاء، صـ١٣٤.

وكاد السطح أن يسقط لكثرة الحاضرين، وقد انزعج الداعي لـذلك ولم يستطع أن يخفي تخوفه. يساعده في ذلك مهارة على الحديث ومقدرة على التخاطب مع الجمهـور يـشنف آذان سـامعيه بحـسن عباراتـه وجزالـة ألفاظه وسلامة منطقه وقوة حجته، فقد كان شـاعرا وخطيبـا ومحاجـا، وبذلك يكـون قـد جمـع بـين أهـم وسـائل الاتـصال التقليديـة البليغـة التأثيرفي مخاطبة الجمهور.

كما كانـت المكانـة الدينيـة والعلميـة لجـده القاسـم بـن إبـراهيم (١٦٩-٢٤٦) الـذي كـان يلقـب في الأوسـاط العلميـة **(ترجمـان الدين)** تزيد من جلال وهيبة الهادي مع همـة ترقـى إلى سـماك الـسماء، ونبل واستقامة أخلاقية وثقة واعتداد بالنفس.

لقد كان صلباً أمام المحن الاجتماعيـة، لا يخـور ولا يبـور، ولاتثنيـه الصعاب وكلفة المواجهة عن مبتغاه، فهو كما يقول الشماحي **"كان مثلا لصفات القائد والقدوة الحسنة لأتباعه مترفعا عن الأهواء وسفاسف الأمور وعن المتع، شجاعا فى المعارك والأهوال وفي تطبيق ما يؤمن به ويدعو إليه معتدلا حتى مع أعاديه"**[(١)] .

---

(١) عبدالله عبـدالوهاب الـشماحي(١٩٨٥)؛ **"الـيمن الإنـسان والحـضارة"**، ط٣، منشورات المدينة.

في الجملـة كـان الهـادي شخـصية قيادية مـن الدرجـة الأولى ومـن الرجال العظماء الذين يتركون أثرهم على التاريخ، وهو بما توافر لـه مـن السمات الهامة المكونة للشخصية القيادية والعوامل والمـؤثرات الأسريـة والثقافية التي تعاورت على بناء شخصيته كان لابد أن يكون قائـدا لأنـه خلق ليكون كذلك، لأن القيادة طاقة يمتلك الهادي مخزونا ضخما منها، وقدرة أن يصرفها، وقد تـساعده الظـروف، وقـد لا تـساعده وفي هـذا تتفاوت خطوط عظماء التاريخ .

والهـادي هـو الـزعيم الزيـدي الـذي انتهـى إليـه حمـل المـشروع الإصلاحي الذي كـان قـد بـدأه الإمـام زيـد (ت ١٢٢هــ)، ووريـث الموروث المعرفي لزيد بن علي باعتبار أن الزيديـة ليـست نزعـة علمويـة فحسب بل حركة إصلاحية نضالية، مشروعها السياسي يقوم على مبـدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر والمـسؤولية الاجتماعيـة والـسياسية وتبني المعارضة السياسية والمسلحة إن لزم الأمر .

وتتناغم شخـصية الهـادي مـع خـصائص الفكـر الزيـدي المعرفيـة والسياسية دون أن يعني ذلك أنه مجرد متقبل سـلبي للمـوروث المعـرفي لزيد بن علي. فهذا يتنافى مع طبيعة شخصيته الخلاقة. فـما بيـنهما نـشأت علاقة جدلية خصبة. فالموروث المعرفي للزيدية أسهم بدرجة أساسية في التكوين المعرفي للهادي وهو بدوره أثرى هذا الموروث بالتراكم المعـرفي

لعصره وأضفى عليه طابعاً من شخصيته؛ ومن هنا منشأ الخطأ الذي وقع فيه فريق من الباحثين في نظرتهم للهادي كمؤسس لفرقة متميزة داخل الزيدية، وهو خطأ جر إليه سوء فهم لطبيعة الفكر الزيدي وطبيعة أدوار الزعامات الروحية والسياسية المتعاقبة على قيادة المذهب الزيدي والحرية الفكرية والتعديلات على المنظومة العقدية والفقهية الزيدية المسموح بها وفقاً لنظرية الإجتهاد في المذهب الزيدي.

التفكير في استثمار ظروف المرحلة:

كانت الظروف السياسية والاجتماعية التي يمر بها العالم الإسلامي على نهايات القرن الثالث الهجري والمتمثلة في تبدي ملامح الضعف على الخلافة العباسية وضعف سلطتها المركزية، وتزايد نفوذ الأتراك، واستئثارهم بالسلطة دون الخلفاء، وتفشي الفساد في أجهزة السلطة، وكثرة الانتفاضات المناهضة للدولـةً العباسية والخارجين عليها، والتذمر في صفوف الجماهير، تدفع بالهادي إلى التفكير الجدي في استثمار هذه الظروف لبدء التحرك السياسي، ووضع الخطة العملية لحركته الإصلاحية والتي تطمح -إن ساعدتها الظروف- إلى منازلة الخلافة العباسية في بغداد، وقد أشار الهادي إلى أهمية اغتنام هذه الظروف في رسالته إلى بعض أهله في الحجاز يؤنبهم فيها على خمولهم وسلبيتهم في التفاعل مع حركته.

وبالفعل بدأ الهادي في وضع خطته موضع التنفيذ . وتذكر المصادر التاريخية أن الهادي تردد في البداية في التوجه إلى اليمن. وتردده كان على أساس أن اليمن ليس المكان المفضل لديه؛ لأنه من الطبيعي أن يفكر أي زعيم سياسي أو صاحب دعوة إصلاحية أن يكون اختياره لمقر دعوته مبنيا على استقراء سليم للمناطق والاختيار من بينها أكثرها مناسبة لتساعده على تحقيق أهداف دعوته، وتشكل الحامل الاجتماعي الجيد والعصبية التي تقدم الحماية اللازمة .

كان الإمام قبل قدومه لليمن قد قام بجولات استطلاعية لبعض البلدان، فتوجه إلى طبرستان كما مر، و في الرحلة الاستطلاعية الأولى إلى اليمن عام ٢٨٠هـ، عبر عن خيبة أمله؛ فعلى الرغم من أنهم قدموا له فروض الولاء والطاعة لكنهم لم يحبوا صرامته في التزام دولته بالشريعة.

تذكر بعض المصادر أن الهادي أراد تنفيذ الحكم الشرعي بحق رجل من آل طريف من أقارب أبي العتاهية بلغه أنه شرب الخمر، فمانع القوم، فاستاء الهادي لذلك وقرر العودة إلى الحجاز وهو يقول: **"لا أكون كالمصباح يضيء لغيره ويحرق نفسه"**.

ومع معاودة الوفود اليمنية المطالبة للمرة الثانية بقدومه فكر الهادي بصرفهم لما بدا له كما يقول: من قلة رغبتهم في الحق إلا أنه في النهاية عدل عن رأيه ووافق على الذهاب إلى اليمن بعد تردد. فما هي الأسباب التي حملته على العدول عن التوجه إلى اليمن ؟

القاسم المشترك بين الروايات أن ضغط الوفود اليمنية إلى الحجاز ومراسلات عدد من الزعماء المحليين والعشائريين التي تطالب بقدومه وتعهداتهم بالالتزام بأمره، وتوسلهم بعمومته وبأبيه لإقناعه بالعدول عن رأيه، والتوجه معهم إلى اليمن هي السبب المباشر في إقناع الهادي[1] .

---

(١) حسين خضيري احمد(١٩٩٦)؛ **"قيام الدولة الزيدية في اليمن ٢٨٠-٢٩٧"**، مكتبة مدبولي صـ٦٢-١٢٢.

فـالحروب الأهليـة قـد أنهكـت العـشائر المتـصارعة، واسـتنزفت مواردهم الاقتـصادية، وكـانوا بحاجـة ماسـة إلى الاسـتقرار، والتقـاط الأنفاس ولو لفترات متقطعة وقصيرة.

ومن ناحيـة سياسـية هنالـك فـراغ سـياسي نتيجـة لغيـاب الـسلطة المركزية، إضافة إلى أن بعد اليمن عن بغداد عاصـمة الدولـة العباسـية، ووعورة تضاريس اليمن، فضلاً عن تدهور أوضـاع الخلافـة العباسـية التي كانت تغري الطامحين والمناوئين التقليديين للسلطان العبـاسي مـن أصحاب العقائد الثورية على التمرد على الدولة المركزية، وباعتقادي أن الهادي لم يكـن أمامـه خيـارات كثـيرة. فـالمواطن التقليديـة للتـشيع في العراق وخراسان تجعله في متناول العباسيين. وطبرستان جنـوب بحـر الخزر كان يشغلها الداعي الحسن مع أنه أقل كفاءة وأهليـة مـن الهـادي ولم يُخفِ انزعاجه من بقاء الهادي بطبرستان. والحجاز كانت قد اعتزلت السياسة منذ وقت مبكر. وكانت آخر مشاركة لها مع الـنفس الزكيـة في صراعه مع دولة المنصور العباسي .

كانت هذه أسباباً كافية لإقناع الهادي؛ لأن الفقـه الـسياسي الزيـدي وإن كان يشترط للثورة وضعا ثوريا يرجح فكرة نجاح الثـورة حتـى لا تكون مغامرة غير محسوبة ولا يشترط تأكد النجـاح يقينـا، وعنـد تـوفر الحد المقبول من التسهيلات يصبح التحرك الإصلاحي أمرا متحـتما ولا يؤثر وجود بعض العوائق والصعوبات أمام فرص النجـاح مادامـت فى

الحدود المقبولة؛ بمعنى آخر ألا تكون فرص الفشل أكثر من فرص النجاح، وهذا سبب إضافي يدفع بالهادي للقبول بالتوجه لليمن وتأسيس دولته هناك .

ومن الافتراضات المنتشرة لدى فريق باحثين معاصرين اختزالُ بواعث الحركة الإحيائية للهادي وآل البيت عموماً في الطموح للسلطة، ومشاعر الحرمان من حقهم السياسي، والمساعي الحثيثة لاستعادة هذا الحق العائلي المقدس.

وهي مجازفة غيرموفقة، فمع الإقرار بأن نظرية الإمامة السياسية تتضمن الاعتقاد بالأولوية السياسية لأهل البيت [1]، وأن هذا العامل

(١) بالنسبة للمنصب الاجتماعي أو الوضع العائلي("القرشية""الرضاء من آل محمد") كشرط للتأهل لشغل وظيفة الخلافة أو الإمامة –المصطلحين السياسيين التقليدين الأكثر استعمالا للدلالة على السلطة القانونية والروحية للإمام أو الخليفة -فهو لدى أكثرية المدارس التراثية يستوي في ذلك من ينظر إلى الفعل السياسي كفرع من فروع الدين أو أصل من أصوله فالمنصب الاجتماعي لا يتخرج على الرتبة الدينية للمسالة السياسية وإنما له علاقة بالشروط الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية في أمة نسابة يحتل فيها النسب والاعتصاب للعشيرة المتعززة بالعاطفة الدينية موقعاً متميزاً في تركيبتها الاجتماعية. وعلى كلاً هي لا تقبل الانسحاب على الواقع الاجتماعي المعاصر والتشكيلات المعاصرة للمدارس التراثية، فالواقع الاجتماعي العربي والإسلامي تعرض لعملية تحديث تفاوتت من قطر لآخر هزت من بنيته وتركيبته الاجتماعية والسياسة والفكرية.

وإن كان له دور إلا أنه لم يكن جوهريا في حركتهم فضلا عن أن يكون المحرك الرئيس أو الوحيد للثورات الزيدية ضد النظام القائم في الشام ثم في بغداد لا حقا يدل على ذلك جملة **أمور منها:**

أولاً: أن الاعتقاد بالحق العائلي موجود لدى أكبر فصيل شيعي وهم "الاثنا عشرية" مثلما هو عند الزيدية وعلى نحو أكثر اهتماما وحصراً، ومع وجوده لم يؤثر عنهم ممارسة أي نشاط سياسي إلى قيام الثورة الإيرانية١٩٧٩م. وتفضيل التعايش مع النظام القائم، ورفض شرعيته واللجوء الى "استحداث فكرة الإمامة الموازية أو الإمامة الشاملة التي تقدم ذاتها كبديل أسمى من الرئاسة السياسية التي يتمتع بها الخليفة الأموي، وهي فكرة تعويضية تعكس حجم الإحباط الناجم عن العجز عن مواجهة القوة الأموية الجبارة "[1] .

فلو كان هذا الاعتقاد ومشاعر الحرمان هي المحركة فلماذا لم تمارس مفعولها مع هؤلاء؟ وكيف كانت تدفع بهؤلاء إلى اختيار المواجهة واستعذاب التضحية ومواجهة الموت في شجاعة منقطعة النظير وتقديم قوافل الشهداء ؟! وتبطل كل مفاعيلها السحرية عند أولئك، ألا يعني ذلك أن أمراً وراءه يمتاز به أحد الفصيلين هو الباعث على هذا الإصرار

---

(١) عبدالجواد ياسين، السلطة في الاسلام نقد النظرية السياسية، ط١، ٢٠٠٩، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء – المغرب، صـ٢٦٠ .

السياسي؟ وإذا فتشنا عن أهم ما يميز بين الفصيلين لوجدناه في تصور كل فصيل لتطبيقات مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأبعاد الاجتماعية والسياسية لهذا المبدأ وفقا للنظرية الزيدية ونظرتها إلى الحياة العامة بكل مظاهرها على أنها شأنٌ عام يهم كل أفراد المجتمع المسلم، ويدخل ضمن دائرة مسؤوليات المؤمن واهتماماته الشخصية الدينية، وتتعاظم المسؤولية أكثر بالنسبة لرجال الدين والقيادات الروحية فتفرض زيادةً على المؤهل علميا وأخلاقيا -خاصة من آل النبي ﷺ- أن يكون إيجابياً في التعاطي مع الشأن العام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري، والهادي كان محصلة لهذا الفكر في سلوكه وتفكيره، والشخص المؤهل نفسياً وعلمياً وأخلاقياً وفسيولوجياً للقيام بهذا الدور؛ ولذلك من الطبيعي أن يتطلع الهادي للعب دور سياسي كجزء من المسؤولية كما يراها، قال الهادي: **"والله الذي لا إله إلا هو وحق محمد ما طلبت هذا الأمر اختيارا ولا خرجت إلا اضطرارا لقيام الحجة"** إضافة إلى المضمون الاجتماعي لدعوتهم حيث دعوا أنصارهم إلى **"كتاب الله وسنة نبيه، وجهاد الظالمين، والدفاع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم الفئ بين أهله بالسواء، ورد المظالم، ونصرة أهل بيت النبي"**[1].

---

(١) محمود إسماعيل، الأدارسة ،ط١، ١٩٩١م مكتبة مدبولي – القاهرة، صـ٢٦.

وليس هناك مبرر منطقي لاستبعاد الدافع الديني وراء الحركة السياسية للمعارضة الشيعية -سواء كانوا مصيبين في نظرتهم تلك أم مخطئين- وتصوير أفراد هذا البيت العلوي على أنهم جماعة من المهووسين بالسلطة وأن الهوس بالسلطة هو الذي جعلهم لا يستطيعون العيش إلا في السياسية و بها ومعها، فالعامل الديني يعتبر من بين أهم القوى المحركة للتاريخ.

ثانياً: لا تلتفت هذه التفسيرات إلى أثر التحولات الاجتماعية والسياسية، وهي تفسيرات لا تصح إلا في حالة ما إذا كان الوضع الإسلامي العام المرافق للمعارضة المسلحة لا يتحمل أي مبرر أو عوامل سياسية أو دينية أو اجتماعية أو اقتصادية غير هذا العامل النفسي.

والقراءة العملية والمحايدة لتطور الأحداث والمتغيرات في المحيط الاجتماعي الإسلامي توضح أن التحولات المتتابعة والمتسارعة على جميع الصعد منذ نهاية النصف الأول من القرن الأول الهجري تفرض وضعا ثوريا، فعلى المنظورين القريب والبعيد يرصد الرئيس الإيراني السابق "خاتمي" بعض أهم مظاهر التحول السياسي والاجتماعي في تعمق أزمة الشرعية السياسية وزيادة الاعتماد على القوة العسكرية والقمع الوحشي للمعارضين وممارسة الإرهاب بحقهم، وتفشي الفساد

في الأجهزة الحكومية، والمساوئ الاجتماعية والتدهور القيمي، واحتدام الخلافات السياسية والكلامية التي صار الدين محوراً لها، والشك فى شرعية النظام السياسي أخذ يمتد إلى الدين الذي يدعي النظام تمثيله، فظهرت الزندقة والشعوبية، وأفرغت البيعة من مفهومها السياسي والقانوني كعقد اجتماعي بين الحاكم والمحكوم بموجبه يلتزم كل طرف للآخر : مجموعة من الحقوق والواجبات ليتحول إلى التزام من طرف واحد (الأمة) بالطاعة المطلقة[1] .

كما أقصي المجتمع عن حقه في المشاركة، والمساءلة وتعززت السلبية السياسية، ومصادرة آدمية الإنسان فليس أكثر من قِنّ عند الحاكم له أن يتصرف فيه كيف يشاء.

وفى العصر الأموي كانت العاصمتان الروحيتان للإسلام "مكة والمدينة" قد فقدتا أهميتهما السياسية والروحية، وتحولتا إلى مدينتين غنائيتين، واكتظتا بالمغنين والمغنيات، وما صاحب ذلك من المجون والفساد ولوازم التدني، واجتمع فى زمن واحد من مشهوري الغناء **"جميلة، وهيت، وطويس، والدلال، وبرد الفؤاد، ونؤومة الضحى، ورحمة، وهبة الله، ومعبد، ومالك، وابن عائشة، ونافع بن طنبورة، وعزة**

---

(١) محمد خاتمي (٢٠٠٤)؛ **"الدين والفكر في شرك الاستبداد"**، ت/ ماجد الغرباوي ط٢، دار الفكر المعاصر، دمشق.

الميلاد، وحباب، وسلامة، وبلبلة، ولذة العيش، وسعيدة، والزرقـاء، وسعيد بن مسجح، وابن سريج، والغريض، وابن محجر"[(١)] .

وهكذاعاشت "المدينة ومكة المقدستان" لفـن الغنـاء، تـسهران كـل ليلة على أوتار العيدان والطنابير والآلات الموسيقية من كل لون، وفيهما ظهر الغزل الصريح والفاحش في العصر الأموي، في حين هاجر الغـزل العفيف أو العذري إلى البادية .

ويضيف العشماوي: **"وهكذا في عز الخلافـة الأمويـة وفى ضـحى التاريخ الإسلامي كان الفسق كثيرا والفجور سـافرا؛ يقـع في قـصور الخلفاء ويحدث بين صفوف المسلمين، فكانت الخمر والغناء واللواط والتخنث والتشبيب بالنساء.. إلخ، وحدث ما لا يمكن أن يحـدث فى وقتنا الحالي؛ أن تصلي جارية مخمورة بالمسلمين بدلا من الخليفـة، وأن يجاهر الخلفاء بالفسق والزندقة والفجور، وأن يسرع أمير المـؤمنين في وضع مقصف له فوق الكعبة، يلهو ويسكر ويتلوط فيه"**[(٢)] .

وفي مقولة مشهورة عن الخليفة الأموي عمر بـن عبـدالعزيز يـصور فيها حجم الانحراف الذي أصاب المجتمع الإسلامي في العهد الأموي

---

(١) محمد سـعيد العـشماوي (١٩٩٢)؛ **"الخلافـة الإسـلامية "**، ط٢، سـينا للنـشر، مصر صـ١٤٤.

(٢) نفس المصدر.

يقول: "إن الله بعث محمدا رحمة ولم يبعثه عذاباً إلى الناس كافة، ثم اختار لهم ما عنده فترك لهم نهرا شربهم فيه سواء، ثم ولي أبو بكر فترك النهر على حاله، ثم ولي عمر فعمل عمل صاحبه، فلما ولي عثمان اشتق من ذلك النهر نهراً، ثم ولي معاوية فشق منه الأنهار، ثم لم يزل ذلك النهر يشق منه من يزيد ومروان وعبدالملك وسليمان حتى أفضى الأمر إليَّ وقد يبس النهر الأعظم، ولن يروى أصحاب النهر الأعظم حتى يعود إليهم النهر الأعظم .." [1].

ومن بين أهم البواعث الضغط الذي كانت تشكله جماهير المستضعفين المتحلقين من حولهم فهم ملاذ الجماهير كلما ساءت أحوالها وأرادت أن تحتج على وضعها أو تعبر عن ضيقها، وقد تنجح الجماهير في مسعاها وينجحون معها، وقد تخفق ويخفقون معها.

ومهما تكن البواعث ففي النهاية الهادي اختار التوجه لليمن. وفي (صفر ٢٨٤هـ) وصل إلى صعدة، وأمضى فيها أربعة أشهر، عمل أثنائها على تهدئة الأوضاع والإصلاح بين القبائل المتنازعة، واستطاع الهادي أن يتوسع أفقيا وأن يمد نفوذه شمالا باتجاه نجران وجنوبا باتجاه خيوان وصنعاء وذمار وصولا إلى عدن، واستطاع الهادي أن ينتزع صنعاء من

---

(١) محمود إسماعيل، (٢٠٠٠، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي طور التكوين، ط٤، سنياء للنشر – مصر، صـ٥٩).

أسعد بن يعفر. وفي غضون أربع سنوات اتسعت رقعة دولته **"وأصبحت من نجران شمالا إلى عدن جنوبا"**[1].

غير أن هذا التوسع كان أفقيا وعلى السطح، ولأسباب موقوتة سنناقشها لاحقا، لذلك سرعان ما قامت حركات تمرد وأعمال تخريب في معظم المناطق التي دخلت فى دولته، وخلال الفترة التى أمضاها الهادى فى اليمن منذ(٢٨٤)إلى وفاته(٢٩٨) قضى معظمها على ظهر جواده في مواجهة التمردات القبلية التي تحركها الزعامات المحلية والعشائرية.

مهما كانت التحديات التي وجهها الهادي إلا أنه نجح في تحقيق **الآتي:**

١- التأسيس لدوله زيدية تعتبر الدولة الإسلامية العربية الوحيدة التي واصلت حكمها وحافظت على كيانها أكثر من ألف سنة.

٢- مكافحة العصبية الجاهلية بين القبائل المتصارعة حتى دانت له الرقاب. ويعتبر المستشرق البريطاني ر.ب. سيرجنتت "أن حضور الأئمة الزيود كان يعني من المحتمل بداية الأسلمة للشمال"[2].

---

(١) حسين خضيري، **مصدر سابق**، صـ٩١.

(٢) ورقة بعنوان **"الزيود"**، ل ر.ب.سيرجنت منشورة على موقع مركز التراث والبحوث اليمني
http://yemenhrc.com/articles.aspx .

٣- من القرن التاسع الميلادي/ القرن الثالث الهجري أصبحت مدينة صعدة اليمنية من عواصم الثقافة وذلك منذ أن أقام الهادي فيها وأسس فيها للمذهب الزيدي. ومهما عجز الهادي عن توسيع رقعة دولته على اليمن فإن عاصمته صعدة لم تعجز عن التأسيس الثقافي ولعدد من المدارس الفكرية والفقهية[(١)] .

٤- وضع حدا للفوضى السياسية التي كان يعيشها اليمن وإن لم ينجح في القضاء عليها. . وهي منجزات على أهميتها تبدو متواضعة مقارنة بأهداف المشروع السياسي للهادي ولحاظ قيادته الكاريزمية وملكاته الشخصية المادية والمعنوية وجهوده التي كانت تكفي لإقامة إمبراطورية مترامية الأطراف؛ وهذه هي القضية المحورية لهذه المقاربة بالوقوف على العوامل والأسباب التي أعاقت جهود الهادي وعرقلت مساعي حركته الإصلاحية .

---

(١) عبدالله البردوني، (٢٠٠٦) **"اليمن الجمهوري"**، ط٦ .

الأخصائص الأخلاقية في حركة الهادي الإصلاحية

حفظت لنا المصادر التاريخية جملة من الوثائق السياسية للهادي (خطب - عهود سياسية لولاته - مكاتبات) نستشف من خلالها بعض ملامح حركته الإصلاحية والخطوط العامة لفكره السياسي **كالآتي:**

١ - إقامة دولة تتأسس على العقيدة، وتشتق من التجربة المدينية التي أسسها النبي ﷺ والفكر السياسي للزيدية، وتستند فى تشريعاتها على مصادر التشريع الإسلامى فهي دولة أخلاقية تقوم على العدل الاجتماعي ومراعاة مبادئ وأهداف القرآن في إقامة مجتمع عادل موحد .

٢ - تمارس هذه الدولة سلطاتها السياسية والدينية على أساس مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على جميع الأفراد الخاضعين لسلطانها، وتسري أحكامها على الجميع من دون مراعاة للمكانة الاجتماعية والاقتصادية.

٣- لا يتحدد مشروعه -على المستوى النظري- بمحددات جغرافية ولا يتأطر بأطر قومية أو قبلية وإنما بالمفهوم التقليدي للدولة الإسلامية الذي يتأسس فيه مفهوم الأمة السياسي على مفهوم

الأمة الديني يتداخل فيه الامتدادان الديني مع السياسي. والأمة كرابطة روحية وسياسية تضامنية هي التي تعرف العلاقات الاجتماعية والسياسية بين أفرادها. ومفهوم الأمة لا القبلية الإطار السياسي والثقافي لها.

٤- المفهوم القانوني للبيعة عبارة عن عقد اجتماعي بين طرفين (الحاكم – والأمة) يتم بموجبه تبادل الالتزامات والحقوق بين الطرفين. وفي خطابه لأهل اليمن اشترط الهادي لهم على نفسه أربع خصال **"أن يحكم فيهم بالكتاب والسنة، وأن يؤثرهم على نفسه فلا يتفضل عليهم بشيءٍ من المال، وأن يتقدمهم عند مقابلة الأعداء، وأن يقدمهم عند العطاء، وفي المقابل يشترط عليهم لنفسه السمع والطاعة"** [(١)].

٥- حق الأمة في مراقبة الحاكم ومحاسبته، ولم يحدث في التاريخ الإسلامي أن بالغ حاكم أو أمير أوسلطان في التأكيد على حق الأمة في محاسبته ومساءلته كما بالغ الهادي، ومن كلام له في

---

(١) علي بن محمد العلوي (١٩٨١)؛ **"سيرة الهادي"**، تحقيق سهيل زكار، ط٢ دار الفكر، لبنان صـ٤٨ .

الوثيقة السياسية لدعوته: **"فإن خالفت طاعة الله فلا طاعة لي عليكم، وإن ملت أوعدلت عن كتاب الله وسنة رسوله فلا حجة لي عليكم"**[1]. والإخلال بمقتضيات البيعة من قبل الطرف الأول وهو الحاكم يحل الطرف الثاني من أي التزام سياسي نحوه. وإخلال الطرف الثاني يعطي الأول حق محاسبته.

٦- المال العام حق للجميع ولا يجوز لأحد الاستئثار به. روي عنه قوله: **"ما يمنع الفقراء منا إذا لم نستأثر بشيء من الأموال دونهم"**.

---

(١) نفس المصدر، صـ٤٩.

جدل الظروف الموضوعية للمجتمع اليمني وحركة الهادي الإصلاحية

أولاً: السمات الأساسية للمجتمع القبلي:

تتفاوت المجتمعات فيما بينها في ظروفها السياسية والاقتصادية ومستواها الحضاري، وتركيبتها الاجتماعية، وتوزيع القوة والسلطة بين قواها الاجتماعية، والمحددات الأساسية لمكانة أفرادها وفئاتها الاجتماعية والمهنية، وتصنف المجتمعات الإنسانية لعدة أصناف أو مراحل ولكل صنف أو مرحلة طابعه الخاص؛ وتختلف النظريات الاجتماعية في نظرتها لمحددات البنية التحتية لأنماط البناءات الفوقية، وفي تقديرها لأدوار كل محدد (سياسي، اقتصادي، ديني، معرفي) في تشكيل وبلورة الأوضاع الاجتماعية.

والمجتمع القبلي يعد أحد أشكال المجتمع البدائي يرتكز نظامه على القبيلة كوحدة سياسية واجتماعية واقتصادية، وتعرف القبيلة بأنها **"نسق من التنظيم الاجتماعي يتضمن عدة جماعات محلية مثل القرى والبلدات والعشائر، وتعيش القبيلة عادة على إقليم معين، وينتابها شعور قوي بالتضامن والوحدة تستند إلى مجموعة من العوامل الأولية"**[(1)] .

وأبرز سمات النظام القبلي -كما يرصدها المؤرخ العربي مسعود ظاهر- العصبية، وروح الجماعة المتماسكة، واللغة أو اللهجة المشتركة،

---

(1) محمد نجيب بوطالب (٢٠٠٢)، **"سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي"**، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت صـ٥٥.

واحترام وممارسة عادات وتقاليد خاصة ومتوارثة، والتـزاوج الـداخلي القائم، واحترام التراتب الهرمي داخـل القبيلـة، والخـضوع للمـشايخ، والبنية التنظيمية التي تؤدي إلى تماسك الجماعـة، وتعزيـز دور العـصبية القبلية لحماية الجماعة، واقتصار الثقافـة البدويـة عـلى مجموعـة العـادات والتقاليد المتوارثة، وانعدام الثقافة المكتوبة، واقتصاد الكفاف اليومي أو السنوي أو انعدام التخطيط البعيد المـدى، والنزعـة الفرديـة التـي تعـد إحدى أهم مكونات شخصية البدو[1].

والولاء السياسي في المجتمع القـبلي يكـون للقبيلـة ولـيس للـسلطة المركزية؛ والعصبية هـي مـصدر القـوة والتـضامن الـسياسي للقبيلـة؛ يعرف الجابري العصبية **"بأنها رابطة اجتماعية شعورية ولا شعورية معا تربط أفراد وجامعة ما بعلاقة قائمة على القرابة والنسب عندما يكون هناك خطر يتهدد أولئك الأفراد"**[2].

وتفرض العصبية وأيدلوجية التضامن القبلي نوعـا مـن التـداخل في المسؤولية القانونية الجماعية والفردية عـلى قاعـدة انـصر أخـاك ظالمـاً أو

(١) مسعود ظاهر (١٩٨٦)؛ **"المشرق العربي المعاصر من البداوة إلى الدولة الحديثة"**، ط١، معهد الإنماء العربي، بيروت ص٣٢ـ٣٦.

(٢) محمد عابد الجابري (١٩٩٤)؛ **"معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي"**، مركز دراسات الوحدة العربية –بيروت صـ١٦٨.

مظلوماً؛ حيث العائلة والعشيرة هي وحدة التعامل وليس الفرد. فـ**"الفرد في القبيلة لا يتصور أنه مسؤول كفرد عما يفعل لسبب بسيط هو أنه يصدر أفعاله عن مخيال؟ القبيلة فهو عندما يغزو أو يقوم بأخذ الثار لا يفعل ذلك لنفسه فقط بل للقبيلة، إنه يصدر إذاً في نشاطه الاجتماعي/ السياسي خاصة عن قهر اجتماعي وجبرية قبلية"**[(١)].

والنظرية الخلدونية تنص على أن رابطة النسب في المجتمع القبلي هي أساس الاعتصاب القبلي وقيام المتحدات القبلية، مع أنها وفقا لابن خلدون ليست إلا رابطة وهمية، واختلاط الأنساب هو الظاهر إلا أن حاجة البدو إلى آلية قوية ومستمرة للدفاع المشترك هي ما يفسر لجوء البدو إلى النسب، واحتماءهم بالجينيالوجيا كأيديولوجيا لصياغة وإعادة صياغة النظام الاجتماعي، وتدعيم لحمة الجماعة وتعاضدها[(٢)]، ورأي ابن خلدون هذا تؤكده الدراسات الحديثة إلا أنه لا ينفي تدخل عوامل أخرى سياسية واقتصادية في ظهور المتحد القبيلي.

---

(١) محمد عابد الجابري، (٢٠١٠م، **العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته**، ط٧، مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت، ص٢٦٠).

(٢) **"دراسة غير منشورة عن السلوك الانتخابي لقبائل المغرب"**، صـ٢٧.

وتتحدد مكانة الفرد ووتتعرف العلاقات الاجتماعية بين أفراد القبيلة وحقوقهم السياسية والاجتماعية وفقا لعاملين رئيسين؛ اقتصادي وعسكري، باعتبار الطابع الحربي للقبيلة؛ فالبدوي -بحسب الدراسات الاجتماعية- إنسان محارب.

ويرتبط هذا بالظروف الاقتصادية القاسية للمجتمع القبلي، فهو اقتصاد يقوم على الكفاف والاستغلال البدائي للطبيعة أو للأرض، ومعرَّض لكثير من الأزمات، وخاضع للتقلبات المناخية في كثير من الأحيان للأرض، ولايسمح بقيامِ وضعٍ طبقي بمفهوم المادية التاريخية.

وعلى عكس ما هو شائع عن أخلاق المجتمعات البدوية يؤكد -مسعود ظاهر- أن الفردية هي أهم سمات السلوك البدوي، ومثله المستشرق الغربي "بروكلمان" في اعتقاده أن **"البدوي كائن فردي النزعة مفرط الأنانية قبل كل شيئ، ولا تزال بعض الأحاديث تسمح للعربي الداخل في الإسلام أن يقول في دعائه: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحدا"**[1].

---

(١) كارل بروكلمان (١٩٧٣)، **"تاريخ الشعوب العربية"**، تنبيه امين فارس ومنير البعلبكي ط٥، دار العلم للملايين -بيروت صـ١٨.

كلام بروكلمان قد يصدق على القبائل التي لم تتلطف أخلاقها بالإسلام أو المغرقة في البداوة؛ لأن المجتمعات القبلية مستويات متدرجة كالبدو الرحل الذين لا تعرف حياتهم الاستقرار، وتعتمد على الرعي، وتربية الحيوانات، والغزو، وهي تختلف إلى حد ما عن القبائل المستقرة التي تعتمد على الزراعة، وبعض المجتمعات القبلية تطورت فيها التجارة وشهدت بعض مظاهر الحياة المدنية كمكة في الجاهلية واليمن على عهد الممالك القديمة المعينية والسبئية والحميرية .

وهذه السمات والخصائص للمجتمع القبلي تجعله غير مستقرٍ وقابلاً لانفجار نزاعات وصدامات طويلة المدى داخل القبيلة الواحدة وفيما بينها وبين القبائل الأخرى المناوئة، ولا يحتاج في كثير من الأحيان لأسباب مقنعة أو كافية، فتصرف غير محسوب لأحد أفراد القبيلة قد يكون كافيا لاندلاع نزاع دموي طويل المدى يستمر لسنوات كحرب البسوس وداحس والغبراء التي استمرت أربعين عاماً.

ثانياً: الأوضاع الاجتماعية والسياسية في اليمن قبل قدوم الهادي:

المجتمع اليمني تاريخياً مجتمع قبلي، تعتبر القبيلة فيه هي المكون الرئيس وأكثر العناصر الاجتماعية والسياسية فاعلية فيه، ومع أن اليمن من بين كل القوميات في الجزيرة العربية قامت فيه ممالك قوية وازدهرت فيه حياة مدنية وحضارية راقية لازالت معالمها قائمة حتى الآن وتشهد على المستوى الحضاري والرفاه الاقتصادي الذان كانا أنذاك وامتداد نفوذها السياسي كذلك، حيث شهدت أوج ازدهارها في عهد الدولة السبئية التي تعد أهم الممالك اليمنية القديمة، وامتد نفوذها من الجنوب العربي إلى شمال الجزيرة العربية.

وقد لعب تراكم الفائض الاقتصادي للممالك اليمنية القديمة الناتج عن تطور القطاع الزراعي والتجاري دوراً كبيراً فى الازدهار الحضاري، والتطور في الحياة المدنية، وفي قيام دولة مركزية قوية وحدت اليمن سياسياً تحت سلطتها، فاليمن في هذا التاريخ كان همزة وصل بين الشرق والغرب، ومضيق باب المندب كان بمثابة الشريان الرئيسي للتجارة في العالم القديم؛ الأمر الذي هيأ لقوافل سبأ ومن قبلها معين إدارة دفة التجارة بين الشرق والغرب، وقد استطاعت هذه الحكومات الحفاظ على مركزها بإبقاء البحر الأحمر مغلقاً والتحكم بالموانئ البحرية

فيه حيث القوافل اليمنية هي وحدها التي تنقل بضائع الشرق إلى بلدان الغرب والعكس.. "[1].

وقد أسهم النمو الاقتصادي بشكل كبير في بلورة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، لكنها لم تستطع تجاوز القبيلة، وظل تأثيرها على الطابع القبلي للمجتمع محدوداً، واستمرت الروابط القبلية على أشدها، وتعايشت الاستقراطية الإقطاعية والنظام الملكي والنظام القبلي القديم جنباً إلى جنب"[2].

والدولة في ذلك العصر كانت عبارة عن قبيلة استطاعت بما توافر لها من أسباب القوة المعنوية والمادية أن تفرض نفوذها على بقية القبائل والوحدات الاجتماعية وضمها إلى سلطتها؛ وحتى تضمن ولاء القبيلة ولتمرير الإجراءات والتشريعات التي تتخذها عمدت الدولة إلى دمج زعماء القبائل في تشكيلتها السياسية، وتقليدهم مناصب سامية وتفويضهم في إدارة الأقاليم التابعة لهم وجمع الضرائب.." [3].

(١) أحمد شرف الدين (١٩٦٤)، "اليمن عبر التاريخ دراسة جغرافية تاريخية سياسية شاملة"، ط٢ص١٣٦.

(٢) توفيق المديني (١٩٩٧)، **"المجتمع المدني والدولة السياسية في الوطن العربي"**، منشورات اتحاد الكتاب العرب ص٢٩٥.

(٣) المصدر السابق، ص٣٠٦.

وفي القرن الأول الميلادي فقدت اليمن مصدرا هاما من مصادر تراكم الفائض الاقتصادي عندما اهتدى البحار اليوناني "هيبالوس" إلى معرفة اتجاه الرياح الموسمية، وما أحدثه لذلك الاكتشاف من أثر في تحويل طريق التجارة البحرية؛ حيث أخذت السفن الهندية وغيرها تعبر المحيط الهندي إلى الهند رأسا "الشرق الأدنى"[1].

والحدث الثاني الذي لعب دورا في فقدان اليمن حيويتها السياسية والاقتصادية هو انكسار السد المعروف بالسيل المسمى العرم ما دفع بأعداد كبيرة من اليمنيين إلى الهجرة إلى الشمال.

والحدث الثالث الاحتلال الخارجي من قبل الأحباش لليمن، ثم من بعدهم الفرس، وذلك قبيل ظهور الإسلام وبذلك كانت اليمن قد فقدت أمنها واستقرارها واستقلالها.

وشكل بزوغ فجر الإسلام إيذانا بعصر جديد، ومنعطفاً عقدياً وسياسياً في تاريخ العرب والعالم، وثورة شاملة على الأوضاع القائمة السياسية والدينية والاجتماعية القائمة في المجتمع العربي، فالدعوة الإسلامية في مظهرها العقدي والسياسي والاجتماعي تعد نفيا للنظام القبلي القائم على الاعتصاب للقبيلة، وتجاوزا للقبيلة؛ وكانت مساعي

---

(١) شرف الدين؛ **مصدر سابق**، صـ١٣٧.

النبي ﷺ تأتي لتفكيك النظام الاجتماعي القديم، وإعادة بناء المجتمع على أساس مفهوم الأمة -البديل السياسي والثقافي للقبيلة- كوحدة سياسية واجتماعيه ونسق ثقافي، وفي سبيل ذلك عمد النبي محمد ﷺ إلى مجموعة من الإجراءات أحدثت نقلة نوعية في تركيبة المجتمع المديني، وهذا التطور الذي حدث لمجتمع المدينة لم يحدث وبنفس المستوى في المجتمعات التي كانت أسلمت إسلاماً سياسياً، أو أعلنت انظمامها إلى دولة الرسول ﷺ : "وكان البدو والأعراب أبعد ما يكونون عن الإسلام سواء في العقيدة أو في الثقافة"، ولذلك استمر القانون القبلي في أوساطهم رغم انتمائهم للإسلام.."[1] . وبالرغم من ذلك فالقبيلة لم تزل كل رواسبها من النفوس؛ فعقيب وفاة الرسول كانت بعض الصراعات والخصومات السياسية تعكس اصطفافا قبليا كما حدث في سقيفة بني ساعدة وما دار فيها من سجالات "لقد أظهر استخلاف الرسول في داخل السقيفة التناقضات القبلية وغلبة توازناتها على ما عداها "[2] .

---

(١) توفيق المديني، **مصدر سابق،** صـ٣٦٦.

(٢) علي فياض، ٢٠٠٨م، نظريات السلطة في الفكر السياسي الشيعي المعاصر، ط١، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي - بيروت، صـ٨٩ .

ومع تولي معاوية سدة الحكم سنة (٤٠هـ) عاد الحكم باسم القبيلة وليس باسم العقيدة وتغير الوضع تماما مع الدولة الأموية على حد تعبير الجابري حيث يقول: " لقد كان انتصار معاوية على علي يمثل –حسب تعبيره هو– انتصاراً لأهل الجزاء والغناء في الأعمال والوظائف على أهل الاجتهاد والجهل بها وباصطلاحنا الخاص لقد انتصرت القبيلة على العقيدة "[1].

وبخصوص اليمن فإن القبائل اليمنية بدءاً من العام (٦٢٨م/ ....هـ) أخذت في الانضمام إلى الإسلام وإرسال مبعوثيها إلى المدينة لمقابلة النبي ﷺ وظل انتشار الإسلام في اليمن محدودا إلى مجيء علي بن أبي طالب مبعوثا للرسول ﷺ عام(٨هجرية) فأسلمت قبائل همدان وتبعتها القبائل الأخرى.

ومع أن اليمن أصبحت من ناحية سياسية إمارة تتبع نظام الخلافة في المدينة، إلا أنها لم تكن تنظر لليمن باهتمام كبير، ومع تحول عاصمة الدولة الإسلامية إلى الشام ومن بعدها إلى بغداد أصبحت اليمن مجرد خزان يمد الدولة بالمال والمقاتلين ولذلك لم تشهد اليمن تحولات اجتماعية فارقة، وعلى حد قول بروكلمان فقد "عجز الإسلام عن تعديل

---

(١) محمد الجابري، ٢٠١١م، **العقل السياسي العربي محدداته وتجلياته**، ط٨، مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت، صـ٢٥٣ .

الأحـوال الاجتماعيـة والـسياسية تعـديلاً جوهريـاً، ذلـك أن الحكـام الأرستقراطيين ظلوا يفرضون سلطتهم على مناطق نفوذهم من غـير أن يجدوا معارضة من ممثل الخليفة في صنعاء"[1].

فلم يتأثر النظام القبلي كثيراً بالإسلام، وظلت القبيلة اليمنية تحتفظ بوضـعها كوحـدة سياسـية واجتماعيـة واقتـصادية متكاملـة ومـستقلة، وبدورها كلاعب فاعل في كل أحـداث الـيمن الـسياسية والاقتـصادية والاجتماعية في هذا العصر والعصور اللاحقة.

وبحسب دراسة المرصد اليمني لحقوق الإنسان فقد اسـتقر التقـسيم القبلي مع ظهور الإسلام على أربعة اتحـادات قبليـة هـي حمـير ومـذحج وكندة وهمدان، إذ يتكون جمع همدان من قبيلتين كبيرتين حاشد وبكيل، وتستوطنان ما بين صنعاء وصعدة، ويتكون مجمـع مـذحج مـن ثـلاث قبائل هي عنس، مراد، الحدا، وتعيش فى المناطق الشرقية من اليمن، أمـا قبائـل حمـير فقـد سـكنت المنـاطق الجبليـة الجنوبيـة والهـضاب الوسطى.."[2].

---

(١) بروكلمان، **مصدر سابق**، صـ٢٢٦.

(٢) مجموعة من الباحثين (٢٠٠٩)؛ **"القصر والديوان: الدور الـسياسي للقبيلـة في اليمن"**، المرصد اليمني لحقوق الإنسان – صنعاء صـ١٧.

وتـــشير الدراســـة إلى أن عوامـــل سياســـية واقتـــصادية في العصورالوسطى والعصر الحديث أفرزت توزيعا جديدا للقبائل اليمنية فانضمت مذحج إلى بكيل وبعض قبائل حمير إلى حاشد، فالبنيـة القبليـة لليمن لا تتحدد بالقرابة فقط وإنما بمحددات سياسية واقتصادية.."[1] .

وكل اتحاد من هذه الاتحادات يتشكل من وحدات اجتماعيـة أصـغر تتحالف حينا، وتتحارب جينا آخـر تبعـا لـضرورات ومـصالح مؤقتـة ومتبدلة باستمرار .

ولحظة قدوم الهادي كانت اليمن تعاني أوضاعا سياسـية واجتماعيـة شاذة ومضطربة؛ تتنازعها فيما بينها عدة دويلات وإقطاعيات متصارعة مع فراغ سـياسي في المنـاطق الـشمالية، كـما أنَّ والـصراعات والحـروب القبلية لم تكن لتنتهـي، فتفـرغ مـن حـرب لتـدخل في أخـرى، وتنهـك القوى الاجتماعية وتستنزف موارده في حروب عبثية .

وظاهرة الفوضى السياسية والتمزق الاجتماعي التي كانـت تعيـشها اليمن جـاءت تظهـيرا لعوامـل سياسـية واجتماعيـة ودينيـة وجغرافيـة عديدة، فمن ناحية سياسـية كـان ضـعف الـسلطة المركزيـة للعباسـيين والانتفاضات المتكـررة فى العـراق والكوفـة والبحـرين وفـساد الـولاة

---

(١) نفس المصدر، صـ١٥.

وإرهاب الفلاحين والمزارعين تغري بالتمرد على السلطة المركزية، وكان بعد اليمن عن مقر الخلافة يزيد من رصيد هذا التمرد، ويجعل أفئدة من الطامعين والمعارضين السياسيين وأصحاب الدعوات الإصلاحية تهوي إليه، إضافة إلى انصراف السلطات المركزية في دمشق ومن بعدها بغداد إلى الأقطار التي تم فتحها في الشام وبلاد فارس ومصر؛ والتي تمتاز بثرائها مقارنة بالعائدات الشحيحة التي توفرها اليمن للخزينة العامة، ورغم أن النزعة الاستقلالية في اليمن قد بدأت إرهاصاتها في عهد الدولة الأموية، إلا أن قصر عمرها حال دون تكامل أسباب الانفصال وأجلها إلى عهد الدولة العباسية"[1] .

و الجدير بالذكر أن الدول المتنافسة على الحكم في اليمن في هذه الفترة كانت هي الدولة الزيادية (٢٠٥-٤٠٢) في تهامة، والدولة اليعفرية (٢٢٥-٣٩٣) في شبام كوكبان، والدولة الإسماعيلية في عدن لاعة إضافة لبعض الزعامات العشائرية والإقطاعية كالدعام ببكيل، والأكيليين بعلاف، وآل طريف وآل الضحاك وآخرين.

كانت هذه هي معطيات الواقع السياسي اليمني على المستوى الإسلامي الدولة المركزية "المستقرة"بلغة ابن خلدون في بغداد، وإن

---

(١) سيف الدين القصير(١٩٩٣)، **"ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن"**، دار الينابيع –دمشق ص١٨.

كانت قد دخلت مرحلة الهرم، وهذا يعطي فرصة للنجاح، ويشكل عاملا ربما يساعد الهادي على تحقيق أهدافه لكن ليس إلى حدود بعيدة، فمظاهر الضعف للدولة العباسية كانت لا زالت في بداياتها، ولم تكن الدولة قد أخذت "مأخذها من الهرم" والعجز التام عن المسير وتجهيز قوة عسكرية إلى اليمن، فهي وإن تأخرت في إرسالها إلى (٢٩٠هـ) نظرا لحاجتها إليها لقمع الانتفاضات التي قامت في بلاد الشام والعراق، فإن المستكفي العباسي جهز أحد رجاله المعروف (بجفتم)على رأس قوة إلى اليمن لمواجهة الهادي إلا أنه بدلا من المواجهة مع الهادي اصطدم بالأمير اليعفري أسعد بن يعفر[(١)] . . .

والإيجابية في بعد اليمن عن مركز الخلافة ينتقص منها أن وقوع اليمن في أطراف البلاد الإسلامية يقلل من فرص قيام دولة كبرى يمتد نفوذها إلى أغلب بلدان العالم الإسلامي أو الجزء الأكبر منها، فموقع اليمن في جغرافية العالم الإسلامي لا يوفر إمكانية لأكثر من قيام إمارة قطرية مع ما يتطلبه ذلك من توفر شروط اقتصادية وعسكرية وتسهيلات اجتماعية لا توفرهما اليمن وإذا كان بإمكان الهادي الاستفادة من حالة التذمر السياسي، والحاجة إلى الاستقرار والتقاط الأنفاس للمجتمع المنهك من الحروب الأهلية ومن الفراغ السياسي

---

(١) حسين خضيري، **مصدر سابق**، صـ٩٩.

الموجود خاصة في صعدة والمناطق المجاورة في استقطاب الأنصار، لكن كما هو واضح فالهادي لم يكن الشخصية السياسية الوحيدة المتواجدة على الساحة اليمنية، فهناك من كان قد سبقه إليها من أصحاب الدعوات الدينية والتطلعات السياسية كآل زياد وآل يعفر وآل طريف وعلي بن الفضل وابن حوشب وزعامات عشائرية محلية أخرى.

والهادي وإن كان يتمتع بجاذبية دينية وسياسية ومكانة علمية ومؤهلات قيادية تفوق مالدى منافسيه وتجعله الأوفر حظا بينهم، إلا أن وجودها سيعيقه من تحقيق أهدافه الطموحة؛ فاحتمال نجاحها مرهون بالشروط الاجتماعية والاقتصادية الجيدة التي توفرها له اليمن والتي تمكن من خلق وحدة سياسية سهلة تولد من رحم هذه الفوضى والاضطراب، لتشكل قاعدة ينطلق منها إلى الوحدات السياسية الأخرى وصولا إلى عاصمة الدولة التي يعتبر ابن خلدون أن سقوطها سقوط لجميع الأطراف.

ثالثاً: أثر الأوضاع على تجربة الهادي السياسية:

١. الهادي يصطدم بالقبيلة (مقاومة السلطة المركزية):

سبق القول أن الهادي صاحب مشروع إصلاحي وإن مشروعه السياسي مشتق من الفكر السياسي للزيدية ومن التجربة السياسية للنبي محمد ﷺ، ويسعى لإقامة دولة تتحدد ثقافياً وسياسياً بمفهوم"الأمة"، ولذلك فإن أول عمل دشنه الهادي هو الإصلاح بين قبيلتي سعد والربيعة في صعدة، وإنهاء حرب طاحنة بيهما استمرت لزمن، والمؤاخاة بين الفئات المتقاتلة تيمنا بعملية المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين التي افتتح بها الرسول أعمال دعوته[(١)].

وكانت بعض القبائل تعيش حرباً أهلية لا تتوقف فيما بينها ولحظة دخول الهادي اليمن، وكانت الدعوة الإصلاحية والمشروع السياسي للهادي تشكل تجاوزا للنظام القبلي القائم والسلطة الاجتماعية للزعامات العشائرية والقبيلة التي تقوم على أساس الوعي العصبي.

---

(١) العلوي؛ **"مصدر سابق"**، صـ٤١.

ومن الطبيعي أن تصطدم دعوة الهادي مع القبيلة في اليمن وتعارض أهدافها في إقامة دولة مركزية يطمح الهادي أن يمتد نفوذها إلى خارج اليمن، فالقبيلة هي نظام سياسي ما قبل دولتي و"السلطة المركزية هي النقيض التاريخي للسلطة القبلية، وكلاهما يلغي الآخر سياسياً واقتصادياً واجتماعياً"[1] .

ومع أن المجتمع العربي مجتمع قبلي إلا أن اليمن يتميز بوفرة قبائله وكلما كثرت القبائل تضاءلت فرص نجاح مشروع الدولة؛ يقول ابن خلدون: "إن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة"[2] .

ويستشهد ابن خلدون لذلك بحظ الدولة الإسلامية بمصر والشام وبلاد فارس والعراق لقلة القبائل والعصبيات فيها فشأنها كما يقول ابن خلدون:"إنما هو سلطان ورعية"، بخلاف حظها مع قبائل البربر بأفريقيا والمغرب .

ويعزز طه حسين فى دراسته عن ابن خلدون فكرة الأخير بمزيد من الشواهد التي تدل على صدق ملاحظته" فالرومان على حذقهم في الحرب كانوا في حرب دائمة مع شعوب شمال أفريقيا، والعثمانيون لم

---

(١) مسعود ظاهر، **مصدر سابق**، صـ٤٢ .

(٢) عبدالرحمن بن خلدون؛ **"المقدمة"**، دار الفكر –بيروت، صـ٢٠٥.

يضفروا إلا بسلطة اسمية في ساحل البحر المتوسط، والفرنسيون عانوا المشقات في سبيل بسط حضارتهم في مراكش وعجز الرومان والإسلام عن تلطيف أخلاق هذه القبائل"[1] .

والظروف القبلية في اليمن تقترب إلى حد كبير من مناطق القبائل في أفريقيا من حيث كثرة القبائل ومقاومة الدولة المركزية، فليس من طبيعة القبيلة الاستجابة للمشاريع الكبيرة بسهولة وتحتاج لعمليات تكييف وتطويع طويلة المدى تنجزعلى مراحل، ولتفكيك الروابط والوشائج القبلية وإحلال روابط مابعد القبلية محلها .

لقد عمل الهادي منذ لحظة وصوله على إنهاء النزاع الدائم بين بعض القبائل اليمنية، وركز جهوده على إنهاء حالة التوتر القائمة في البلاد والتمزق الاجتماعي والسياسي فأوقف النزاع القائم بين الأكيليين والفطيميين، وأصلح بين القبائل المتقاتلة في نجران وهمدان وغيرها من القبائل، وكان نجاح الهادي في الإصلاح بين القبائل يزيد من شعبيته ورصيده السياسي، وحقق تقدماً لافتاً في صعدة ونجران وما حولهما، وقد شجعه هذا على المضي قدما في مشروعه السياسي وضم المناطق

---

(١) طه حسين (١٩٢٥)، **"فلسفة ابن خلدون الاجتماعية"**، ت محمد عبدالله عنان ـ ط١ مطبعة الاعتماد – مصر صـ١٠٨ .

الأخرى التي لم تكن تبدي مقاومة تذكر أو فتحها فتحاً سياسياً، فـدخل شبام عاصمة اليعفريين دون قتال، ومنها تحرك إلى صنعاء التي سـلمت له راضية، ولم يكن الهادي يقـيم في أي منطقـة يـدخلها إلا ريـثما يرتـب أوضاعها، ويعالج ما يحتاج منهـا لمعالجـة شرعيـة وقانونيـة، ولـذلك لم يتأخر في صنعاء ليتحرك جنوباً إلى ذمار التي بايعت الهادي، وفي غضون أربعة أعوام حقق الهادي إنجازاً سياسياً يعد قياسياً بلحظ ظروف اليمن الاجتماعية والاقتصادية وأصبحت دولته تضم الجزء الأكبر مـن الـيمن وتمتد من نجران شمالاً إلى عدن جنوباً كما جاء في بعض الروايات.

لكن هذا التقدم لم يكتب له الاستمرار بنفس الـوتيرة، ودارالبنـدول لغير صالح الإمام، فكما هي العادة في المجتمـع القـبلي الـولاء والطاعـة الذي تقدمه القبيلة يخضع لاعتبارات وقتية، وتفرضه مصالح نفعية، ولم يكن تحويل الولاء السياسي من حاكم إلى آخر يعتبر انتهازية سياسية ولا عملا معيبا في الثقافة القبليـة، فلـم تجـد القبائـل التـي أعلنـت ولاءهـا للهادي أي حرج من الانقـلاب عليـه، وكـان تنـامي الـسلطة المركزيـة لدولـة الهـادي يـأتي عـلى حـساب القبيلـة كمؤسـسة سياسـية ممثلـة في شيوخها حيث وتحد من سلطتهم بالقدر الذي تظفر به الدولة المركزيـة، ذلـك أن العلاقـة بـين الدولـة والقبيلـة كمؤسـستين تخـضع لقـانون

"المحصلة الصفرية" وفقا لمفهوم "س رايت ميلز" للسلطة باعتبارها ثابتاً تتوزعه القوى السياسية والاجتماعية في أي مجتمع، وأي زيادة في سلطة أي منهما تعني الانتقاص من سلطة الأطراف الأخرى[1].

وللحفاظ على سلطتها أمام زحف القوة السياسية للهادي عمدت الزعامات المحلية إلى إعاقة جهود الهادي بإثارة الفوضى وأعمال الشغب. وتحريض القبائل متوسلين بقيم الثقافة القبلية، وكانت نجران وصنعاء التي دخلها الهادي أربع مرات أكثر المناطق اضطراباً؛ كما حصلت تمردات ومشاغبات في وشحة وأثافت وخيوان وفي صعدة وهمدان وكان أول تمرد التمرد الذي قاده أبو دغيش الشهابي في وشحة برفض دفع الزكاة إلى عامل الإمام، وكانت جباية الواجبات هي إحدى الإشكاليات التي واجهت دولة الهادي مع زعماء وشيوخ العشائر الذين ينظرون إليها كجزء من اختصاصهم، وكان هذا عرفاً سائداً ترجع أصوله إلى عهد الممالك اليمنية القديمة، فهم من يديرون الأقاليم التابعة لهم ويتولون جمع الضرائب.

وتاريخيا شكلت القبيلة اليمنية منطقة عازلة بين الدولة وأفراد المجتمع، فليس للدولة سلطة مباشرة على الأفراد فهي بواسطة شيوخ القبائل خاصة في القرى والأرياف، وكان هذا العرف التقليدي

---

(١) مجموعة من الباحثين، **مصدر سابق**، صـ٤٤.

يتعارض مع أهداف دولة الهادي التي تصر على أن هذه الأشياء تقع ضمن مسؤولياتها؛ ولذلك من الطبيعي أن ينظر هؤلاء إلى دولة الهادي بكثير من الحذر والريبة.

وكما تؤكد الدراسات السوسيولوجية والإنثربولوجية فإن عقلية القبيلة شقاقية وذات نزعة فردية، يغلب على سلوكها السياسي العدائية، ويقوم على الثقافة الثأرية، ولم تكن أعمال الشغب والتمرد تكلف متزعميها التخطيط والتنظيم نظرا للطابع الحربي للمجتمع القبلي؛ فبحسب دراسة المرصد اليمنى "القبائل اليمنية كانت على استعداد دائم للقتال مع أي كان ضد أي كان"[1].

خاصة وأن مناطق التمرد كانت تعيش حالة فوضى سياسية قبل دخول الهادي نتيجة للفراغ السياسي، وكانت هذه العوامل إضافة إلى عوامل أخرى سنأتي عليها توسع الهوة بين الهادي وشيوخ القبائل، وتضاعف من تعقيدات الواقع السياسي والاجتماعي، وقد تبرم الهادي من هذا الوضع المعقد، وصرح أكثر من مرة عن ضيقه بهذا الواقع وما وصلت إليه الأمور وأنه لولا خوفه على ضياع ما قد أنجزه ما أقام في اليمن أو كما قال: **"لولا أني أخاف ضيعة الإسلام لما أقمت باليمن"**[2].

---

(١) **نفس المصدر**، صـ ١١٩ .

(٢) حسين خضيري؛ **مصدر سابق**، صـ٧٥ .

٣. السياسة المبدئية للهادي (مثالية الهادي):

يعلل المؤرخ الاجتماعي المصري "جورجي زيدان" نجاح العباسيين في سياق السباق على الخلافة مع خصومهم العلويين أن هؤلاء أرادوها دولة تقوم على التقوى والدين فقط معتمدين على صدق تدينهم وشرف نسبهم.(١)

ويقول المفكر الباكستاني "دليب هيرو": إن علي بن أبي طالب من خلال التمسك الشديد بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يمثل الاتجاه المثالي في الإسلام، أما الاتجاه البرجماتي فكان يمثله أولئك الذين تولوا بعد محمد ﷺ منصب الخلافة بل إن الخليفة الثالث عثمان بن عفان قد توسع في البرجماتية مما أدى إلى اغتياله في نهاية الأمر"(٢).

والمعارضة السياسية الشيعية كامتداد لهذا الاتجاه الذي أرساه الإمام علي عليه السلام عرفت في التاريخ الإسلامي باعتبارها تمثل أيديولوجيا المستضعفين والعدالة الاجتماعية، وتمفصل فكرها السياسي على العقيدة، وتتسم سياسة قيادات البيت العلوي بالمبدئية (صدق التدين)

---

(١) جرجي زيدان؛ **"تاريخ التمدن الإسلامي"**، المجلد الثاني، دار مكتبة الحياة، لبنان – بيروت، صـ ٤٠٠ .

(٢) دليب هيرو،(١٩٩٧)؛ **"الأصولية الإسلامية في العصر الحديث"**، ت. عبدالحميد الجمال ،الهيئة العامة للكتاب صـ٥٤.

في مقابل السياسة المكيافيلية البرجماتية لخصومهم التاريخيين الأمويين والعباسيين.

والهادي هو ابن هذه المدرسة، وحكومته هي امتداد لنفس الجدل الديالكتيكي بين ماهو مثالي وماهو برجماتي الذي تجلى في الصراع المسلح بين علي المثالي وبين معاوية الميكيافيلي؛ روي عن الهادي أنه كان يقول: **"إن هي إلا سيرة علي أو النار"** وكانت حكومته ترجمة لعقيدته السياسية ومبادئ العقيدة ومقررات الشريعة واجتهاداته الفقهية، وفي خطاب له إلى أهل اليمن أكد على أهمية التوافق على الاحتكام إلى تعاليم الدين في الحياة العامة والعملية، وعلى مكافحة الجريمة، والانحراف والمساوئ الاجتماعية، وعلى أن يدور فعلهم السياسي والاجتماعي والاقتصادي على هذا الأساس أو كما جاء في خطبته: "ما جاءنا من الكتاب اتبعناه وما نهانا عنه اجتنبناه... وإلى أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر نحن وأنتم ونفعله وننهى نحن وأنتم عن المنكر جاهدين أو نتركه"[1].

وكان يحرص في اختياره لولاته وتعيين القضاة وفي القرارات التي تتبناها حكومته على مراعاة هذه المقاييس؛ يروى صاحب سيرته أن

---

(١) علي بن محمد العلوي؛ **مصدر سابق**، صـ٤٨ .

حسن بن علي بن فطيم وعبد الله بن حذيف من أصحابه جاءا ليراجعاه بشأن المقادير التي فرضها على الأموال على أساس أنها لا توفر مردوداً مناسباً؛ فأقسم أنه لو تنطبق السماء على الأرض حتى تختلف ضلوعه ما أخذ غير الحق أبدا، وفي رواية يقول: **"والله لا أصلحكم بفساد نفسي"**، وكان واثقا من احتكام سياسته إلى الكتاب والسنة لدرجة أن أحدا لا يستطيع كما جاء في كلامه (إثبات أننا خالفنا حكم الكتاب والسنة)؛ وكانت صرامته في التمسك بالشريعة وراء مغادرته اليمن في المرة الأولى؛ تروي المصادر التاريخية أن أحد وجهاء آل طريف -كان متهما بالانحراف- صودف مخمورا أثناء وصول الهادي قبيلة الشرفة من نهم، فأصر الهادي على تأديبه، فمانع القوم ممن بايعوه في تسليمه ماتسبب في غضب الهادي ومغادرته اليمن؛ وفي عام(٢٨٥هـ) فكر جديا في مغادرة اليمن ثانية احتجاجاً على ما ارتكبه جنوده من أعمال نهب لـ"أثافت" بعد انسحاب الدعام الأرحبي منها؛ قال صاحب أنباء الزمن: "فلم يزل بعض الأعيان يسترضيه ويستعطفه فلم يقبل حتى أرجعوا جميع ما أخذوه"[(١)].

---

(١) **"أنباء الزمن في أخبار اليمن من ستة ٢٨٠-٣٢٢"**، مكتبة الثقافة الدينية صـ١٧ .

وقد اصطدمت السياسة المبدئية للهادي بالنزعة البرجماتية لرموز النظام القبلي **كما سيأتي.**

وطبيعة حكومة الهادي المبدئية تتعارض والتوسل بالعلاقات القبلية واستخدام الأساليب الميكيافيلية، ولا تقبل دمج هذه الزعامات في تركيبتها السياسية وهم على ما هم عليه من الترف والأنانية وتغليب المصالح الذاتية والانتهازية السياسية، وما استبعاد الهادي لبعض الزعامات العشائرية إلا على هذا الأساس فهو لا يقصد إلى استبعاد هذه الشريحة من المجتمع من حيث المبدأ، وقد تضمن رفض الهادي طلب الدعام -زعيم قبلي اختلف مع الهادي في البداية ثم أخلص له- الولاية على الجهات التي كان عليها الحيثيات التي بنى عليها موقفه الرافض؛ يقول: "والله ولا ساعة واحدة إلا على ما آمره به من الحكم بكتاب الله وسنة رسوله، فإن أجاب إلى ذلك وأطاع الله وأطاعنا فيما نأمر به، وأخذ الحق ممن وجب عليه من قريب أو بعيد أو شريف أو دني وليناه، وإلا فلا..."[1].

وموقف الهادي من الدعام يعود بالذاكرة إلى موقف الإمام علي الرافض لبقاء معاوية في السلطة ولو لأيام أو كما قال: **"لا والله لا**

---

(١) العلوي؛ **مصدر سابق،** ص٩٢.

أستعمل معاوية ليومين" [1] ؛ وكان بعض مستشاريه قد أشاروا أنـه قـد يكون من المفيد كتكتيك سياسي الإبقاء على معاوية لبعض الوقت!!!

وقد يختلف الباحثون في الحكم على هـذه المثاليـة وفي تقيـيم موقـف الهادي من القوى القبليـة، وتتفـاوت وجهـات النظـر في مـدى واقعيـة السياسة المبدئية، وإلى أي مدى يجب أن تخـضع الـسياسة للأيـدولوجيا، والحـد الـذي يجـب أن تكـون برجماتيـة؟! وقـد يقـال: إن مـن الحنكـة السياسية إبقاء هذه الفئة على مواقعها السياسية ...الخ .

على سبيل المثال يعلق المؤرخ الإسلامي "مـاليز روتفـين" عـلى هـذه الحالة قائلا: "إن مشكلة العثور على التوازن بـين مـاهو مثـالي ومـا هـو واقعي، أو التوازن بين النموذج الكامـل للإسـلام والحقـائق الإنـسانية والمادية قد أصبحت هي المادة العلمية للتاريخ الإسلامي ابتداء من عهد محمد إلى الوقت الحاضر" [2] .

فالطـابع العـام لـسياسة الهـادي -كـما سـق- هـو: "صـدق التدين،وتمفصلها على العقيـدة" ومبـدأ الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكر.

---

(١) عباس محمود العقاد (١٩٦٧)، **"عبقرية الإمـام"**، دار الكتـاب العـربي - لبنـان صـ١٢٢.

(٢) دليب هيرو ،**مصدر سابق**.صـ٤٧-٤٨.

ربما يكون الهادي قد أخطأ أو بالغ في تقدير حسابات واقع المجتمع اليمني، إلا أن هذا لايعني انتفاء الواقعية عنها بالمطلق وانتفاء المرونة السياسية عنها، فالواقع له شروطه وظروفه، وله إملاءاته ومعطياته التي لا يسمح في كثير من الأحيان بتجاوزها، والهادي كان مضطرا في كثير من الأحيان للتعامل مع شروط وظروف الواقع والاستجابة لإملاءاته فكان يضطر في أوقات صعبة إلى اتخاذ بعض الإجراءات التكتيكية وقد لا تكون متوافقة بالضرورة و مشروعه الاصلاحي .

والبرجماتية التي يرفضها الهادي هي تلك التي لا تتورع عن استخدام أي وسيلة لتحقق غايتها على قاعدة "الغاية تبرر الوسيلة" فالأمر كما يوحي كلامه في مناسبات مختلفة أنه يرفض تحقيق مكاسب سياسية على حساب التضحية بالعقيدة أو مبدأ من مبادئهان وحسابات الربح والخسارة لديه لا تقوم على اعتبارات مادية صرفة، من ذلك ماروي أنه كان بحاجة إلى مزيد من الأموال للاحتفاظ بصنعاء، وكان باستطاعته الاحتفاظ بها عن طريق فرض المزيد من الضرائب أو بإرغام التجار في صنعاء على دفع الأموال اللازمة، وقد حاول الهادي الحصول على قرض إلا إن أهل صنعاء خذلوه، ففضل الانسحاب، وخسر بذلك منطقة من أهم مناطق اليمن حيوية، ولو افترضنا أن الهادي عمد إلى الاحتفاظ بصنعاء بأي ثمن لكان ربما أحرز نصرا مؤقتا لكنه بذلك يكون قد سن لهزيمة أخلاقية تتوارث الأجيال تبعاتها.

لقد كان من نتائج سعي الحكام المسلمين بدءًا من (٤٠هـ) لإنجاز مكاسب سياسية عاجلة وتحقيق انتصارات آنية بالاستعانة بكل الوسائل المشروع منها وغير المشروع أن أسسوا على المدى الطويل لهزائم أخلاقية وحضارية وسياسية تحولت مع الزمن إلى عاهة حضارية مستعصية.

لقد حاول الهادي أن يسابق الزمن للوصول إلى أهدافه الطموحة وحاول أن يقهر الواقع القبلي الذي أعاقه كثيراً، وأرهق نفسه وأتباعه لإرغامه على الاستجابة لمشروعه، وإنجاز طفرة اجتماعية، وسياسية لم يكن اليمن مهيئا لها، وقد يكون أدرك مؤخرا تعقيدات الوضع الاجتماعي اليمني، وقد يكون أخطأ التقديرات، لكن لا يعني ذلك أن الاستسلام الكامل لهذا الواقع هو الحل بقدر ما يعني أن اليمن ربما ليست البيئة المناسبة لإنجاز مشروع كبير كالذي رسمه الهادي لنفسه، لا سيما، والعمر السياسي لدولته كان أقصر من العمر الزمني المفترض لإحداث تحول ثقافي وسياسي يفضي إلى تجاوز أو تكييف النظام القبلي والإقطاعي.[١]

---

(١) يقول المفكر والأديب عبدالله البردوني: إن نظرية الهادي في الحكم كانت مثالية فجابهت مادية الواقع اليمني الذي كانت تحكمه عدة أنظمة كالزيادية في تهامة المرتبطة اسمياً بالخلافة المركزية في بغداد، وكاليعفريين في شبام، وكالدعاميين في همدان، وكعلي بن الفضل في مذيخره إلى جانب رئاسات عشارية: كاليامين في نجران، وأشبههم في خولان. (انظر: عبدالله البردوني، في كتابه اليمن الجمهوري، ص١١).

٣. القوى الاجتماعية المناوئة للهادي وطبيعة دورها السياسي :

معرفة الأصول الاجتماعية للقوى والنخب السياسية المناوئة للهادي يعد مدخلاً يسهم في تفسير الحراك الاجتماعي والسياسي وفي تطورات الأحداث العامة لما تمسكه بيدها من خيوط اللعبة السياسية ومن قدرة على التأثير والمساهمة الفاعلة في بلورة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وبالنسبة لموضوعنا فإن معرفة الأصول الاجتماعية للقوى التي ناوأت الهادي وطبيعة أدوارها السياسية تعد من المفاتيح الأساسية لدراسة وتحليل أحداث العهد السياسي للهادي؛ وفي مجتمع قبلي كالمجتمع اليمني يتميز بكثرة القبائل المتنافسة والمتخاصمة في ما بينها متوقع أن تكون القوى السياسية المناوئة للهادي؛ من أصول اجتماعية قبلية، والمصادر التاريخية تؤيد هذا الافتراض المبدئي، وعلى الرغم من أن اليمن لحظة وصول الهادي كانت تتقاسمه عدة دويلات كما مر إلا أن الوضع فى الإقليم الشمالي يتميز ببنيته القبلية الأكثر تماسكاً، والدولة اليعفرية في شبام أشبه بإمارة قبلية تحكمها برجوازية قبلية ترجع أصولها إلى القبائل الحميرية، أو هي عبارة عن تحالف قبلي موسع، وكانت سلطتها ضعيفة على المناطق التي تحكمها، والتي تخضع في الأساس لشيوخها وتعيش حالة من الاضطراب والنزاعات الدائمة .

ولهذا الأمر أهمية كبيرة على مجريات الأحداث التي رافقت تأسيس الدولة الزيدية وعلى الدولة الزيدية عموماً؛ وذلك لأن الصراع بين الدول المركزية تنظمه قوانين معينة، وتحكمه موازين القوى، وينتهي عادة بتغلب أحد الطرفين، ويختلف الأمر مع القوى السياسية القبلية نظرا لأن الصراع معها صراع مع البنية الاجتماعية ومع الثقافة القبلية للمجتمع، والتي تستمد حيويتها السياسية كما مر من العصبية وأيديولوجيا التضامن القبلي؛ والحل العسكري لا يحقق الهدف، والتحدي الذي تشكله يبقى مرهونا بمدى تماسك الروابط القبلية والنجاح في إحداث التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية اللازمة لتجاوز الوعي العصبوي الذي يحكم سلوك المجتمع والقدرة على تكييفه لقيم العقيدة .

وأبرز الشخصيات القبلية المناوئة للهادي هي الدعام بن إبراهيم، وابنه أرحب، والدعام هو كبير أرحب وسيد همدان في عصره، يسكن الجوف ويتزعم قبيلة بكيل، وأبو جعفر أحمد بن محمد الضحاك شيخ حاشد في عصره، وآل يعفر برئاسة أسعد بن يعفر، وآل طريف ومنهم أبو زيد الطريفي، وجعفر بن صعصعة صاحب ريدة، وأحمد بن عباد زعيم الأكيلين وهم رؤوس آل ربيعة، وقيادات أخرى صغيرة كابن بسطام، وأبي دغيش الشهابي، وأحمد بن محفوظ وغيرهم .

وبحسب المؤرخ شرف الدين بلغ "عدد المعارك التي دارت بين الهادي وآل يعفر وآل الضحاك وآل طريف والأكيليين ما فاق على الثمانين معركة ...غير تلك التي خاضها مع القرامطة وهي زهاء سبعين معركة"[1] .

وقد امتص هذا العدد الضخم من المعارك الطاقة الجبارة وفلَّ من الإرادة الحديدية للهادي والتي كان يمكن تصريفها لإحداث تحول نوعي لليمن، وهي تدل على مقدار الغبن الذي لقيه الهادي في اليمن ومدى تعقيد الظروف الاجتماعية، ولا زالت القوى التي أعاقت المشروع الإصلاحي للهادي هي نفسها مشكلة الدولة اليمنية الحديثة والتي تمارس نفس الدور تقريبا في إعاقة أي مشروع تحديثي أو إصلاحي .

وبملاحظة طبيعة الدور السياسي لهذه القوى الاجتماعية تؤكد الدراسات السوسيولوجية أن النزعة البرجماتية والانتهازية هي التي تحكم السلوك السياسي للنخب القبلية يقول الباحث اليمنى النعماني: "إذا كانت القبيلة تسعى إلى الاندماج فى كيان سياسي أكبر منها فذلك يعني ضرورة إشراك واحتلال رموز القبيلة مراكز سياسية هامة

---

(١) شرف الدين؛ **مصدر سابق**، صـ٢٤١ .

داخل جهاز الدولة ويعني استمرار حصولها على امتيازات معنوية ومادية..."[1].

وشبهت دراسة المرصد القبلي بدودة العلق التي تمتص الدم من الجسم.

وفي جواب لسلطان مسيمر (محسن بن علي) أيام الاحتلال الإنجليزي لليمن على سؤال نزيه بك العظم له عما إذا كانوا يفضلون الاتفاق مع الإمام يحيى على الإنجليز قوله: **"من يملأ كفنا قروشا فهو سلطاننا الحقيقي"**[2].

والزعماء السابقون ليس فيهم واحد إلا وقد بايع الهادي وأعلن الدخول في طاعته والولاء لحكومته، لكن كما هي العادة ولاءات تخضع لاعتبارات نفعية وظروف آنية، فالدعام كان أحد المطالبين بقدوم الهادي إلى اليمن، ثم ما لبث أن تنكر له بعد وصوله، وبعد اشتداد الخصومة بينه وبين آل يعفر وآل طريف لم يجد أمامه إلا الهادي، وصعصعة بن جعفر يسلم للهادي نكاية بالدعام، ثم يستغل خروج القاسم بن الهادي على رأس جيش إلى همدان وبقاء الهادي في صنعاء في

---

(١) محمد النعماني؛ ورقة بعنوان "ثلاثية الدولة والقبيلة والمجتمع المدني - مقارنة سوسيولوجية للدور السياسي للقبيلة في اليمن وتحديد علا قتها وموقعها بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي " .

(٢) حسين العرشي، **بلوغ المرام** ،دار الندوة الجديدة – بيروت صـ١٨٤ .

عدد قليل من الجند في تأليب القبائل، وإعلان التمرد في البون مع جماعة من آل طريف بقيادة أبو زياد الطريفي، ومع اشتداد ضغط علي بن الفضل على آل يعفر أوسطوا الدعام بينهم وبين الهادي لإغاثتهم، وكانوا أبدوا استعدادهم للدخول في طاعة الهادي وتسليم ما بأيديهم، واستطاع الهادي استعادة صنعاء وإلحاق الهزيمة بابن الفضل ليعاود هؤلاء إلى إثارة المشاكل وأعمال الشغب، وكذلك الأمر بالنسبة للضحاك من حاشد بايع الهادي ثم غدر به، ويذكر صاحب أنباء الزمن أن إبراهيم بن علي، والغطريف بن الحكمي من تهامة طالبا الهادي بالقدوم، وقدموا له العهود الموثقة على الوفاء معه، وكلف الحكمي الأهالي بإعداد حفل استقبال وضيافة للهادي وتجهيز الأعلاف للدواب، فلما علم الهادي بذلك أمر بردها، فاستغرب الحكمي لذلك وأدرك ألا مصلحة له في الهادي وعلى الفور وقبل أن يبرد رماد الضيافة رتب للانقلاب على الهادي[1].

ويعمد هؤلاء إلى جملة من الأساليب والوسائل للتأثير على القبايل، وهي وسائل غير مكلفة ولا تحتاج إلى جهد كبير في التخطيط والتنظيم، فمن ناحية المجتمع القبلي فإن يحمل في أحشائه الكثير من عوامل التفجر الداخلية؛ والوحدة السياسية للقبائل لا ترتكز على أسس ثابتة،

---

(١) أنباء الزمن ص.

والقبيلة هي وحدة اجتماعية تضم بداخلها وحدات اجتماعية أصغر تقل أو تكثر لا على أساس رابطة الدم فقط وإنما لأسباب سياسية واقتصادية وجغرافية، ويلعب شيوخ القبائل دوراً أساسياً في توسيع واستمرار وإنهاء التحالفات السياسية بين القبائل وفي إعلان حالة السلم والحرب كما تخولهم سلطاتهم الاجتماعية، والوعي العصبوي عامل محوري في الوحدة السياسية بين القبائل وهو بمقدار "ما هو شعور إيجابي يشد أفراد القبيلة هو شعور سلبي إزاء الآخرين"[1].

والنزعة الفردية التي تعد إحدى أهم مكونات الشخصية البدوية -كما مر- تهدد الاستقرار كما تهدد وحدة المتحد القبلي إضافة لما تفرضه الثقافة القبلية من القيم والأعراف الناظمة لسلوك أفراد القبيلة كالتناصر العصبي والنعرة والتضامن وتنظيم العلاقة بين الفئات الاجتماعية داخل القبيلة وبينها وبين القبائل الأخرى، فبسبب من الفوضى التي أحدثها ابن بسطام في نجران قامت قوات الهادي بملاحقته فلجأ إلى قبيلة شاكر لما بينه وبينهم من تحالف سابق، وتقتضي أيديولوجيا التضامن القبلي والتناصر العصبي أن يقاتلوا معه رغم بيعتهم للهادي.

---

(١) الجابري؛ **مصدر سابق** صـ١٦٩.

كما تأثرت دولة الهادي والدولة الزيدية بنظرة القوى القبلية "لوظيفة الدولة كجهاز تحكيمي" تحتكم إليها القبائل المتنازعة وتقتصر وظيفتها على حفظ السلام بين القبائل...[1]

ويذكر المستشرق البريطاني ر.ب.سيرجنت "أن حاجة القبائل الأساسية إلى وجود سيد عليهم من البيت المقدس(أهل البيت) يحكم بينهم بحيادية وعدل أدت بهم دائماً للعودة لإمام، ولم يكن الإمام بأي حال من الأحوال ملكا وإنما رئيساً دينياً"[2] .

أضف لذلك أن القبائل اليمنية تاريخيا لم تعرف سلطة غير سلطة شيوخ القبائل سواء في عصر ما قبل الإسلام الذي شهد قيام دولة مركزية وممالك قوية أو ما بعد دخول الإسلام، فسلطة الدولة كانت دائما في الحضر والمدن الرئيسية، أما القبائل فلم يكن لها سلطة مباشرة عليها وإنما بواسطة شيوخها، وكانت دولة الهادي أول دولة في اليمن تسعى لفرض سلطتها المباشرة على القبائل واختراق هذا التقليد التاريخي.

ومن سمات الدور السياسي للنخب القبلية أنها لا تملك رؤية سياسية، وليس لديها القدرة على رسم السياسات العامة للدولة، أو

---

(١) مجموعة باحثين؛ **مصدر سابق** صـ ١١٩ .

(٢) سيرجنت؛ **مصدر سابق** .

اقتراح برنامج للتغيير السياسي إلا أنها تملك القدرة على اتخاذ القـرارات فهي تشكل جماعة اعتراضية حسب (ديفيـد راسـيمان) الـذي يـرى أنهـا جماعة الاعتراض نادرا ما يكون لدى أعضائها مبادرة واقـتراح، ولكـن لديها القدرة على رفض اقتراحات الآخرين .

وهذه الصفة تنطبق تماما عـلى الـدور الـسياسي للقـوى الاجتماعيـة القبلية المناوئة للهادي فهي كانت تـستطيع أن تعيـق المـشروع الـسياسي للهادي، ليس على أساس أن لديها مشروعاً سياسياً تعارض به مـشروع الهادي، وأعمال التمرد التي يقودونها لم يكن لها أي أهداف سياسـية، ولم تكن تتبنى أي مطالب إصلاحية مشروعة ترى أن الهادي لم يتعامل معها بشكل إيجابي، ومن ثم يكون لها الحق في المعارضة السياسية أو المـسلحة لدولته إن لزم الأمر ، وإنما هي منافع ودوافع وأهداف شخصية .

٤. القوى الاجتماعية المناصرة للهادي

في الفكر السياسي الزيدي هناك لحمة عضوية بين العقيدة والسياسة ومفصل السياسة على العقيدة سواء من حيث تنظيم وتوجيه السلوك السياسي، أو من حيث كونها تقع ضمن الاهتمامات الدينية الفردية والاجتماعية للمجتمع المؤمن المسلم أو الإنسان المتدين، والعقيدة لا القبيلة هي المحدد الأساسي للمشروع السياسي، والسياسية في المذهب الزيدي ليست نزعة علموية أو مدرسة نظرية فحسب، بل حركة إصلاح شامل بمضامين اجتماعية واضحة؛ ولذلك كان من الطبيعي أن يجتذب إليه القطاعات المستضعفة من العرب والموالي، وينظر إلى الفكر الشيعي باعتباره أيديولوجية المستضعفين، وعرف بتبنيه لمفهوم العدالة الاجتماعية؛ لذلك كانت جماهيرية بين الفلاحين والأقنان وأهل الحرف وصغار الملاك، وأن تستقطب إليها القوى الاجتماعية المحرومة والمستضعفة والفئات المهمشة و(اللامنتمين) كما يسميها بعض الباحثين كالموالي في العصر الأموي والعباسي، والطبريين في حالة الهادي ممن ليس لهم هوية قبلية أو تتغلب هويتهم الدينية على هويتهم القبلية من المفكرين ورجال الدين، وليس جزافا أن يكون عمار بن ياسر، والمقداد، وأبو ذر الغفاري، وقيس بن المكشوح، وزيد بن أرقم، وأبو أيوب

الأنصاري .. وغيرهم من المستضعفين وكبار الصحابة وقراء القرآن كانوا على رأس معسكر الإمام علي[1] .

وكان أكثر القوى نفورا منه المنتفعين من الأرستقراطية القبلية والإقطاعية الذين كانوا موالين لمعاوية بن أبى سفيان الذي نجح في استقطاب أصحاب المنافع وطلاب الدنيا كعمر بن العاص، وزياد بن أبيه، والمغيرة بن شعبة، وقد عمل على تآلف رجال القبائل المضرية واليمنية وشراء الضمائر بالمال والمناصب والإقطاعات حتى يضمن ولاءها .

ويلفت الدكتور محمود إسماعيل إلى إهمال المؤرخين لتحليل دقيق يفسر فشل ثورة الإمام زيد على الرغم تأييد كثرة أنصارها من العرب والموالي وتأييد الفقهاء لها، يقول: "إن تحليلاً دقيقاً يجب أن يضع في الاعتبار تأثير الفكر السياسي الزيدي إيجاباً أو سلباً على مجرايات الأحداث؛ لقد تنبت الحركة أهدافاً اجتماعية واضحة كرد الفيء إلى من حرموا منه، وتوزيع الخراج بالعدل؛ ولذلك أقدم المستضعفون من العرب والموالي على تعضيدها، لكن في نفس الوقت لم يتقاعس أثرياؤهم عن مناهضتها "[2] .

---

(١) لتفاصيل أكثر انظر كتاب **"سوسيولوجية الفكر الإسلامي"** لمحمود إسماعيل.

(٢) محمود إسماعيل، **الأدارسة حقائق جديدة** (١٧٢-٣٧٥)، ط١، ١٩٩١، مكتبة مدبولي – القاهرة، ص٣٠.

وعلى عهد الدولة الأموية كان الموالي أكثر القوى الاجتماعية نقمة على الأرستقراطية العربية، وانتشر بينهم التشيع لأهل البيت، وقد تمكن العباسيون بدهائهم استثمار تشيع الموالي للإطاحة بالدولة الأموية على أساس البيعة المتفق عليها للنفس الزكية (أحد أئمة الزيدية)، والتي حضرها من طرف العباسيين أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور.

ومن الروايات الدالة على أن الموالي بعد أن أصبحوا قوة اجتماعية كبيرة في المجتمع كانوا يثيرون ضيق الأرستقراطية العربية، ففي الكوفة مثلا كان الموالي من الكثرة بحيث أخذوا يزاحمون أشراف العرب، ويشغلون الصفوف الأولى، ولما دخل علي بن أبي طالب ليصلي بالناس احتج رجل من هؤلاء الأشراف قائلاً: لقد غلبتنا هذه الحمراء(الموالي) على القرب منك يا أمير المؤمنين، فانزعج الإمام علي لهذا الاحتجاج ورد عليهم بقوله: "عذيري من هؤلاء الضياطرة (الرجل الغليظ الذي لا ينفع فيه) يطلبون مني أن أبعد أقواما قربهم الله ،والله ليضربنكم على الدين عودا كما ضربتموهم عليه بدءاً..[(١)]

ونفس الأمر يتكرر مع الهادي فأغلب القوى السياسية الملتفة حوله من الفئات السابقة، وهي التي أبلت معه بلاء حسناً، وإن كانت بعض النخب القبلية والإقطاعية نتيجة لظروف سياسية قد تحالفت معه كالدعام رأس همدان وبكيل، وأبو جعفر أحمد بن محمد الضحاك رأس حاشد.

---

(١) الجابري، **العقل السياسي**، ص٢٤٥.

وقد نجح نسبياً في تطويع القوىٰ القبلية بعد جولات عنيفة وقاسية من الصراع العسكري، لكن القوىٰ التي اختارت الهادي عن قناعة وكانت محل ثقتة هم من المستضعفين والمحرومين والمتنورين وأهل الفكر، وهذه بعض أسماء رجاله وولاته وقادة جيوشه وحكومته كما وردت فى بعض المصادر التاريخية التي تيسر **الاطلاع عليها :**

- إبراهيم بن جعفر الفطيمي (ذمار).
- عبدالله بن الحسين الفطيمي(منكث).
- علي بن ذكوان وكان من الطبريين (عدن).
- علي بن سليمان وكان من القادمين مع الهادي من بني عمومته(صنعاء).
- أحمد بن محمد وكان من ولد العباس بن علي بن أبي طالب (نجران).
- محمد بن عبيد الله العلوي راوي سيرته (وشحة).
- عبدالعزيزبن مروان يقال له النجراني (برط).
- محمد بن سليمان الكوفي تلميذ الإمام الهادي (خيوان).
- محمد بن الهادي (شبام).
- ابن حذيف (الواجبات).

- حسن بن علي بن فطيم (الواجبات).

- أبوعبدالله الرازي من الطبريين (جيشان).

- أحمد بن محمد الروية رأس مذحج (قائد عسكري).

- محمد بن عباد(شبام).

هذه نماذج لرجال الهادي وهي توضح التركيبة السياسية لدولته وتوضح معايير الاختيار للولاة ومن خلالها **نلاحظ ما يلي:**

- أن دولة الهادي تمثل الفئات والقوى الاجتماعية السابقة من رجال الفكر واللامنتمين والمستضعفين، وتكاد تخلو من الأرستقراطية القبلية، ورغم انتهاء أسماء بعض عناصرها بألقاب تدل على هويتها القبلية كإبراهيم وعبدالله الفطيميين إلا أنهم من أفراد قبيلة بني فطيم العاديين ولم يعرف عنهم قبل قدوم الهادي أنهم كانوا يتقلدون مراكز قبلية هامة.

- وولاة الهادي خليط من العناصر اليمنية وغير اليمنية، فاختيار شخص لشغل وظيفة ما لا يتم على أساس مناطقي وهي تنفي مزاعم بعض الدراسات العلمية (المتعرقنة) التي تتهم الهادي باستبعاد العناصر اليمنية، صحيح أن الهادي استبعد بعض الزعامات القبلية والإقطاعية؛ لأنها لم تكن تنسجم وأهداف دولته السياسية كما سبق التوضيح.

- الفرز الحاصل للقوى السياسية من حول الهادي لم يقصد إليها لا هو ولا القوى السياسية المناوئة أو المناصرة له، وإنما قاد إليه طبيعة البرنامج السياسي والدعوة الإصلاحية التي تبناها؛ وهي لا تمنع من حيث المبدأ استيعاب النخب القبلية، ولا تتقصد تجاوزها أو استبعادها، وإنما ذلك مرهون بما تبديه من استعدادها للقبول بسلطة سياسية مركزية تقوم على مفهوم(الأمة) وليس القبيلة كمكون ثقافي ومحدد سياسي، ومدى قدرتها على ضبط سلوكها السياسي والاجتماعي لحكم القانون الأخلاقي المنظم لدولة الهادي والمستمد من مقررات الشريعة وليس الأعراف القبلية، وهو ما يمثل جوهر المشكلة مع النخب القبلية قديماً وحديثاً، فهي تسعى لسلطة تقتصر وظيفتها على تنظيم العلاقة بين القبائل وتقاسم المنافع؛ ولذلك فإنَّ دولة الهادي لم تجد صعوبة في استيعاب أبا العتاهية الطريفي (زعيم إقطاعي وقبلي)، وهو وإن لم يشغل مهمة رسمية إلا أنه كان يحظى بمركز شرفي واستشاري رفيع، ومن بين عناصر القائمة الروية رأس قبيلة مذحج وأحد القيادات العسكرية، وقد قتل في المواجهات بين دولة الهادي والقرامطة.

٥. السلطة الاجتماعية للهادي (الشرف الاجتماعي):

ينظر ابن خلدون للعصبية باعتبارها القوة الأساسية المحركة للتاريخ، والمؤكد أن الفكر الخلدوني يعد محاولة تأسيسية استثنائية في تاريخ الفكر العربي والإسلامي، لكن هذا لا يجب أن يغري إلى الركون الكامل إلى المقولات الخلدونية ومنها نظريته في العصبية التي يجعل منها المحرك للتاريخ وشرطا للرئاسة على أهل العصبية، إذ لاتكون في غير نسبهم، والملك لا يحصل إلا بالقبيلة والعصبية، ومن دون أن ينكر الدور الذي تلعبه العصبية الخلدونية في تفسير أحداث التاريخ العربى يشير المفكر المغربى عابد الجابري إلى التحايل الذي يمارسه ابن خلدون على الوقائع التاريخية التي تتعارض مع طبائع العمران كما فهمها وقررها وتكييفها ومطمطتها بشكل غير مشروع، ومن أجل تلافي الحرج الذي تسبب فيه ترأس" ابن تومرت" الذي ينتهي نسبه إلى أهل البيت على قبائل مصمودة المغربية يزعم أن نسبه الفاطمي كان خفيا قد درس عند الناس، وفيما يتعلق بالدولة الإدريسية لا يستطيع ابن خلدون إنكار انتماء الأدارسة لأهل البيت لذلك يلجأ إلى مطمطة مفهوم العصبية، فيكفي أن تكون في أهل (النصاب الملكي) بمعنى أن العصبية التي كانت لأسلاف هذا الشخص في عهود سالفة يمتد تأثيرها إليه[١] ...

---

(١) الجابري؛ **مصدر سابق** صـ١٢٦-١٢٨.

والدولة الزيدية التي أسسها الهـادي في الـيمن هـي الأخـرى توجـه صفعة لنظرية العصبية الخلدونية؛ فالهادي وإن تعثر مشروعه الكبـير إلا أنه نجح في التأسيس لدولة تعد الأقوى بين الدويلات اليمنية في العصر الوسيط والأطول عمرا في تاريخ الدولة الإسلامية، ولا يتنافى ذلك مـع ما مر عن دور العصبية القبلية إعاقة مشروع الهادي الكبـير، وفي تـاريخ الأمة العربية قبل الإسلام وبعد الإسلام وعلى حد رأي طه حسين فإنـه إذا استثنينا الأربعين عاماً الأولى من تـاريخ الإسـلام لـيس إلا سلـسلة طويلة من الخصومات بين القبائل"[1].

لكن بالنسبة لدولة الهادي ليس العامل الحاسم فيها خصوصاً انـتماء الهادي لعصبية غير العصبية القحطانية للقبائل اليمنية كـما تقررالنظريـة الخلدونية، وإنما بالنظر إلى طبيعة المجتمع القبلي كما تحـددها الدراسـات السوسيوانثربولوجية، وانتماء الحاكم إلى عصبية المحكـومين هـو عامـل ضمن حزمة من العوامل المتداخلة يتأثر الدور الذي يلعبه على الـصعيد السياسي من حيـث القـوة والـضعف بتجادلـه مـع منظومـة المتغـيرات الأخرى. وبالنسبة لتأثير هذا المتغير على دولة الهادي فعلى فرض أنه كان حفيدا للملك السبئي أبي كرب أسعد الكامل وليس علياً بن أبي طالب،

(١) طه حسين؛ **مصدر سابق** صـ١٨٦.

أو أن جدته هي بلقيس بنت الهدهاد وليس فاطمة الزهراء، أو أنه سليل إحدىٰ الأسر الحميرية الشهيرة، أو كان من أب وأم قحطانيين لما كانت وضعيته أحسن حالا، بدليل أن القبائل اليمنية مارست نفس الدور مع حكومات ذات عصبية قحطانية وبوتيرة أشد، كآل يعفر والدولة القرمطية لعلي بن الفضل ذي الأصول اليمنية، ولازالت تمارسه مع الدولة اليمنية الحديثة في الألفية الثالثة .

فابن خلدون يبالغ فى الدور الذىٰ يمنحه للعصبية كمحرك للتاريخ؛ والخطأ الذي وقع فيه يشبه ما وقعت فيه الماركسية بتركيزها علىٰ العامل الاقتصادي وإهمالها العوامل الأخرىٰ.

ومن نقاط الضعف في العصبية الخلدونية أن القوة الاجتماعية ويعني بها قدرة الفرد علىٰ فرض إرادته وسلطته علىٰ الآخرين في المجتمع لا تتحدد بمحددات جينالوجي فقط، وإنما بمحددات اقتصادية واجتماعية ودينية[1] .

ويمكن تحديد مصادر القوة السياسية للهادي **فى التالي:**

- الكاريزما الشخصية وقد سبق الحديث عنها.

- الدعوة الأخلاقية، والمشروع الإصلاحي وقد سبق الحديث عنه.

---

(١) محمد عودة، **أسس علم الاجتماع**، دار النهضة العربية للطباعة وللنشر-بيروت ص٢٠٧ .

- الشرف الاجتماعي كما يسميه عالم الاجتماع الألماني "ماكس فيبر" ويعني ماتخلعه الجماعة على الشخص من هيبة والشرف الاجتماعي للهادي -وإن كان أهم مصادره- يتركز في المكانة الاجتماعية للأسرة العلوية بسبب قرابتها من النبي محمد ﷺ لكن ليس وفقا للعصبية الخلدونية نظرا للطابع الديني الذي يطبع هذه القرابة ويتجاوز بها كل العصبيات، فالشرف الديني للنبي كان مفعوله يمتد إلى ذريته، ولذلك عادة ما كان الثوار والدعاة من البيت العلوي يوظفونها لخدمة مشروعهم السياسي في استدرار عواطف الجماهير، فالمفكر الباكستاني هيرو يعزو ارتفاع مكانة العشيرة الهاشمية إلى سببين هما "الشعبية الهائلة التي تمتع بها أحد أفراد هذه العشيرة وهو محمد رسول الله، وبسبب اهتمام أفراد هذه العشيرة بتدعيم الدين الإسلامي الجديد والقوي"[1] .

وينفي الدكتور شريعتي أن يكون مفهوم أهل البيت مفهوم، عصبوياً أو عرقياً، فيقول إن قيمة أهل البيت في التشيع العلوي لا يمكن أن تستمد وجودها من كونهم أهل بيت النبي فحسب، بل لأن

---

(١) (الأصولية الإسلامية في العصر الحديث، صـ٤٢).

هذه الأسرة الكريمة هي أسرة مثالية يتجلى فيها مفهوم القدوة في الإسلام حيث تمثل نموذجاً كاملاً وشاملاً ومثالياً ومتعالياً للأسرة الإنسانية ..إن العلاقات الوضعية والعلاقات النسبية لا يمكن أن تكون منشأ لقيم عملية وواقعية؛ إن هذه العلاقات النسبية لها قيمتها واعتبارها الخاص.. فقيمة علي لا تقتصر على كونه ابن عم للنبي أو صهراً له، ولا قيمة فاطمة في كونها بنت النبي، إنما هي أسرة تتسم بالأصالة يحتاجها الناس للتأسي والاقتداء بسلوكها وسيرة أفرادها.[1]

وكما هو معلوم في تاريخ الأدب العربي فإن سياسة بني أمية في المنافسة بين القبائل كان من نتائجه نشوء خصومة شديدة بين القبائل العربية، والقبائل اليمنية والمضرية على نحو خاص، ومن الحكايات الطريفة والمعبرة ما أورده أحمد أمين عن المبرد: **"أن رجلا من الأزد كان يطوف بالبيت وهو يدعو لأبيه، فقيل له ألا تدعو لأمك فقال "إنها تميمية"**[2].

وأسفرت هذه الخصومة عن ظهور لون أدبي جديد عرف بشعر النقائض يقوم على المفاخرات العصبية والقبلية إلا أن هذه المفاخرات

---

(١) علي شريعتي، **التشيع العلوي والتشيع الصفوي**، ترجمة الاستاذ حيدر مجيد، ط٢، ٢٠٠٧م، دار الامير بيروت لبنان ، صـ٢٤٩ .

(٢) أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ط١٠ جـ١، دار الكتاب العربي بيوت لبنان صـ٢٠ .

كانت تستثني قرابة النبي؛ فدعبل الخزاعي كان يتعصب لقحطان ويناقض الكميت الذي يتعصب للعدنانية وفي نفس الوقت كلا الشاعرين قالا أجود القصائد في مديح أهل البيت.

يقول الأديب والمؤرخ اليمني أحمد الشامي إن قصائد دعبل-قحطاني- في أهل البيت تسابق هاشميات الكميت، بل كان اتخذ الشعراء الشيعة من آل قحطان يتخذون من قضية أهل البيت ومآسيهم ذريعة لشتم العدنانيين "ويذكر أن قصيدة الدامغة للشاعر اليمني الهمداني كانت رداً على الكميت بن زيد وليس على العلويين كما زعم البعض وأنه كان يسلك مسلك دعبل والحميري والأسلمي وابن العليف والهبل من الشعراء القحطانيين الشيعة[(١)].

وعليه فإن هاشمية الهادي قد لعبت دوراً مزدوجاً، فانتماء الهادي للأسرة الهاشمية مثل أحد أسباب لجوء القبائل اليمنية إليه، أي أن القبائل كانت تقصد أن يكون الشخص الذي تستقدمه من أبناء علي؛ ربما بسبب العلاقة التاريخية التي تربط القبائل اليمنية بالإمام علي كما مر بالإضافة إلى أن العلويين كانوا هم ملاذ الجماهير كلما ساءت أحوالها، وأرادت أن تحتج على وضعها أو تعبر عن ضيقها وقد تنجح الجماهير في مسعاها وينجحون معها، وقد تخفق ويخفقون معها.

---

(١) أحمد الشامي (١٩٨٠)؛ **"جناية الأكوع على ذخائر الهمداني"**، ط١، دار النفائس صـ٧١-٧٧.

وكان الهادي يحاول الاستفادة من نسبه، ومن تاريخ أهل بيته في استثارة عواطف القبائل اليمنية وجرت العادة في خطاباته للقبائل أن يذكرهم بأهداف دعوته النابعة من القرآن والسنة، ورغبته الصادقة في الإصلاح، ويعزز ذلك بكونه من أسرة النبي ﷺ، مايعني أن عامل القرابة عامل مساعد يعزز من موقفه السياسي والديني، ولم يكن لنسب الهادي دور واضح في توتير العلاقة بينه وبين النخب القبلية، نعم وردت في تصريحات بعض مناوئيه الإشارة إلى نسبته العلوية كما جاء في محاججة أصحاب الدعام له على قبوله بالسلام مع الهادي: **"لانسلم ملكا قاتلنا آل يعفر عليه لهذا العلوي"**، أو في رفض آل طريف دخول الهادي صنعاء بقولهم **"لا نريد هذا العلوي"**؛ لكن كما هو واضح فليس فيها إشارة صريحة إلى أن علويته هي سبب رفضهم إياه بقدر ما هي لقب لتمييز شخصية العلوي أو العلويين، وهو لقب شاع استخدامه خاصة بعد قيام الدولة العباسية لتمييز أبناء علي عن بقية قرابة النبي، ويستوي في ذلك اليمن وغيره من بلدان العالم الإسلامي، وفي كلام أصحاب الدعام تصريح بسبب رفضهم، فالعنت الذي لاقوه في قتال آل يعفر يجعلهم أولى بالملك فكيف يقدمونه على طبق من ذهب للهادي.

وقد مر آنفا أسباب توتر العلاقة بين الهادي والقوى القبلية ففي دراسته عن الدولة الزيدية أشار الخضري إلى دور أموال الزكاة التي كان يلزمهم الهادي بدفعها في تمرد القبائل اليمنية.

٦. المؤثرات الثقافية:

يتأثر الفعل الإنساني إلى حد كبير بمرجعيته الفكرية التي تحدد له قيم الخطأ والصواب، و تلعب الثقافة دوراً أساسياً في إحداث التحولات الاجتماعية والسياسية للمجتمع وتشكيل وعيه السياسي والديني وعلى قدرة الناس في المعالجة العقلانية والمنطقية للمواقف وعلى تغيير سلوك الناس عن طريق مواجهة هؤلاء بأفكار جديدة وأنماط سلوكية جديدة[(١)]، وتزداد أهمية العامل الثقافي في المجتمعات التي تعاني من ندرة الموارد الاقتصادية.

ويعتبر العامل الثقافي من أهم نقاط الضعف في دولة الهادي، فعند توجهه إلى اليمن لم يجد الكثير من أقاربه في الحجاز في أنفسهم الرغبة في مرافقته إلى اليمن؛ ولذلك توجه على رأس وفد متواضع من أبنائه وبعض أبناء عمومته وخدمه وكان موكبه يفتقر إلى العدد الكافي من المبشرين الدينيين اللازم لإنجاح حركته الإصلاحية ومشروعه

---

(١) محمد عودة؛ **مصدر سابق**، صـ ١١٠.

السياسي، فاليمن كانت بأمس الحاجة إلى عمل تبشيري نشط ومكثف يفضي إلى إحداث تحول ثقافي واجتماعي يساعد الهادي على تحقيق مشروعه الطموح وتجاوز الثقافة القبلية التي تشكل وعي المجتمع وتقف سدا منيعا يعيق نشاطه السياسي والديني.

وقبل وصول الهادي كانت اليمن **"قد فقدت كل قيمة مفيدة في التاريخ العام"**[1]، والحياة الفكرية كانت في غاية البؤس إن لم تكن منعدمة حتى ترفد حملة الهادي بمجموعة من المفكرين؛ ورغم أن الإمداد الطبرستاني كان يضم عدداً من العلماء والمفكرين أمثال أحمد بن موسى الطبري، ومحمد بن سليمان الكوفي، وعمر بن إبراهيم الكوفي وغيرهم ممن أسهموا في إنعاش الحياة الثقافية في اليمن وفي صعدة بالذات إلا أن أعداد المبشرين لم يكن يفي بالحد الأدنى من الاحتياج الثقافي للمناطق التي تنظم لدولة الهادي، وكان التوسع العسكري لا يترافق معه توسع ثقافي بنفس الدرجة الذي يكون بمقدوره أن يهز البناء الأيديولوجي العصبوي للمجتمع اليمني.

---

(١) أغناطيوس غويدي (١٩٨٦)؛ **"محاضرات في تاريخ اليمن"**، ت إبراهيم السامرائي ط١ دار الحداثة صـ٩٦.

وتتأكد ضرورة النشاط الثقافي والتبشيري إذا عرفنا حجم التحول الذي أحدثه الإسلام في الواقع الاجتماعي لليمن، فاليمنيون وإن كانوا قد تخلوا عن عبادة الأوثان وتحولوا إلى عبادة إله واحد وفقا للتصور الإسلامي إلا أن كثيراً من العادات المنتمية إلى العصور السابقة للإسلام بقيت تمارس دورها، وحافظت الثقافة القبلية على مكانتها كثقافة مرجعية للمجتمع، وبقي أثر الثقافة الدينية في تشكيل الوعي السياسي والاجتماعي للقبائل اليمنية متضائلاً .

وسبق أن الهادي استطاع أن يحرز نصراً سياسياً وعسكرياً خاطفاً في الأيام الأولى لدولته؛ وكان ماله من جاذبية دينية وهيبة سياسية تسبقانه إلى المناطق التي استطاع أن يفتحها فتحا سياسيا لكن هذا التحول السياسي كان على السطح ولا يمكن الاطمئنان إليه ما لم يقم على أساس تطور بنيوي للمجتمع، وحدوثه رهن لجملة شروط ثقافية واقتصادية غير متحققة في اليمن كما سبق، فمن ناحية كان الظرف الاجتماعي يتطلب تركز الجهد في النشاط الدعوي والعمل التبشيري والثقافي الذي يمهد لقيام حركة إصلاحية ذات برنامج سياسي، ويرافق مراحل تطورها لإحداث التحول البنيوي اللازم لقيام المجتمع الذى يهدف مشروع الهادي الإصلاحي إلي تحقيقه دينياً وسياسياً واجتماعياً.

نعم كانت بذرة التشيع قد بدأت قبل مجـيء الهـادي إلا أنهـا لم تكـن أكثر من عاطفة اجتماعية وسياسية تـربط القبائـل اليمنيـة بالإمـام عـلي الذي قدم اليمن في العام (٨هـ) لنـشر الإسـلام، ولم يتحـول إلى تـشيع عقدي، والهادي كان يدرك هذا، وقد سعى للتغلب على العجـز في هـذا الجانب وفي الجانب العسكري أيضا بمكاتبة العلـويين والـشيعة لطلـب الإمـداد والإعانـة، إلا أن العلـويين في الحجـاز لم يتفـاعلوا مـع طلبـه بإيجابية، والإمداد الطبري على أهميته لم يكن يفـي بـالغرض فـضلا عـن امتصاص الجانب العسكري لأعمالهم؛ لأنه كلما توسعت حكومة الهادي احتاج إلى وفرة في المال والرجال من المقاتلين والـسياسيين والمفكـرين، وكثيرا ما كان رجال دولـة الهـادي يـضطرون لتحمـل أعبـاء مـضاعفة لتغطية العجز في النواحي الثقافية والسياسية والعسكرية والتوفيق في آن واحد بين العمل السياسي والعمل التبشيري والعمل العسكري الذي لم يكن يعفى أحد منه بمن فـيهم الهـادي نفـسه إذ كـان يبـاشر العمليـات القتالية بنفسه .

ومهما تكن الظروف ربما كان على الهـادي قبـل المـسير إلى الـيمن أن يبعث بدعاته مع وفود القبائل اليمنية التي تطالب بقدومه كخطـوة أولى تمهد لقدومه، ومن ناحية أخرى إن أي حركـة إصـلاحية أو سياسـية في

ظروف كهذه لا يجب أن تكون توقعاتها كبيرة، ولا اليمن كان مهيئا لها لا من ناحية جغرافية ولا اقتصادية ولا اجتماعية وفي وضعية كهذه فإن أي زعيم أو حركة سياسية يحتاج فيها التغيير السياسي لجهود مضاعفة تبدأ من نقطة متدنية تستهدف المجتمع (التغيير من تحت) لإعادة بنائه فكريا وسياسيا واجتماعيا وأن يكون تحركها على مراحل .

٧. المؤثرات الاقتصادية:

أصبح من المتوافق عليه بين الدارسين الاجتماعيين والأنثربولوجيين أن من غير الممكن فهم وتحليل مكونات البناء الاجتماعي من دون أخذ النسق الاقتصادي للمجتمع في الاعتبار، فالنظم الاقتصادية تعد من المداخل الأساسية في تفسير الظاهرة الاجتماعية لدى أغلب النظريات السوسيولوجية على اختلاف درجات تركيزها .

حتى أن ابن خلدون لم ينس الإشارة إلى العامل الاقتصادي في التطور الحضاري والسياسي في قوله: "إن اختلاف الأمم فيما بينها يرجع إلى اختلافها في نحل معيشتها"، ونقصد بالعامل الاقتصادي الطريقة المتبعة في عملية الإنتاج والتوزيع وقدرتها على تحقيق فائض اقتصادي.

وفيما يتعلق بالوضع الاقتصادي لليمن في القرن الثالث الهجري لا تسعفنا المصادر التاريخية التي تمكنت من الاطلاع عليها بمعلومات وافية، فتركيز المصادر التاريخية التي تناولت عصر الإمام الهادي كان على تسجيل سير الأعمال العسكرية بين القوى السياسية والاجتماعية المتصارعة، لكن المعلومات المتجمعة تفيد أن اليمن في ذلك العصر كانت تعاني إضافة لأزمتها السياسية أزمة اقتصادية خانقة، وبحسب هذه المصادر فإن شح الموارد المالية وتدهور الزراعة -التي تعد القطاع الإنتاجي الرئيس- بسبب الجدب والحرب من بين الأسباب التي حملت القبائل اليمنية على معاودة مراسلة الهادي[1]، وقد مر بنا أن اليمن كانت قد فقدت أهميتها التجارية بسبب الكشف الملاحي الذي أحدثه، والقطاع الزراعي كان قد تضرر على نحو بالغ بعد حادثة سيل العرم وانكسار السد كما أن الفوضى السياسية وانعدام الاستقرار كانت تعرض القوافل التجارية للخطر وتهدد حياة المسافرين، ولذلك بقي القطاع الزراعي هو ركيزة الاقتصاد اليمني، حيث تعتمد على الأمطار والغيول والوسائل البدائية للري، أما الري الصناعي بإنشاء السدود والحواجز المائية فتذكر بعض المصادر التاريخية وجود بعض السدود كسد الخانق في صعدة وسد آخر في ساقين دمرها إبراهيم الجزار قبل

---

(١) انظر: أنباء الزمن، ص١٨.

وصول الهادي، فضلاً عن أن اليمنيين ربما كانوا قد فقدوا حماسهم لبناء للسدود بعد حادثة العرم فلم تعد من الوسائل المعتمدة عندهم للري، كما أن الجماعات الصغيرة لا تقوى عليها. وتتفاوت مناطق اليمن من حيث خصوبة أراضيها ووفرة محصولها الزراعي ونسبة هطول الأمطار الموسمية.

وبشكل عام فإن الفلاحة ليست مصدرا للغنى، ولا تحقق فائضاً اقتصادياً، وتخضع للتقلبات الطبيعية والسياسية، والمناخية؛ واقتصاد المجتمع الزراعي اقتصاد يقوم على الكفاف، ولا يعرف الرفاه والثراء، ولا يسمح بقيام تفاوت طبقي، والمستوى المعيشي للأفراد يكون عادة في حدود متقاربة.

وهذا الوضع المعيشي هو المسؤول بدرجة كبيرة عن بلورة الأوضاع الاجتماعية والسياسية للمجتمع القبلي.

وفي إطار ربط الظروف الطبيعية والبيئية بطراز الشخصية يتحدث الباحث اليمني عبده الزغير بـ"أن استثمار الطبيعة القاسية لليمن ارتبطت دوما بالجهد الإنساني المبذول، وأنه عندما يكف الإنسان اليمني عن التدخل أو حتى الإغفال لبعض الوقت في ترويض الطبيعة سرعان ما تغدر به وتعود إلى تمردها وترفض معها أن تمنحه أدنى حدود أسباب البقاء" .

كما انعكس هذا الجهد الإنساني لاستثمار الطبيعة في بناء الشخصية ونمو الثقافة والعلاقات الاجتماعية والإنتاجية في المجتمع اليمني حيث تأصلت في شخصية الإنسان اليمني منذ القدم روح الحذر وعدم الركون إلى ماهو معطي، أو الاطمئنان إليه والاستعداد الدائم للتعامل مع أشد متغيرات الزمن سلباً وإيجاباً بدرجات متوازية من الحذر والتفاؤل وحساب الاحتمالات، وهو لذلك إنسان مرن في تصرفه وعواطفه، عملي السلوك والتفكير، متواضع العقيدة، قليل الاهتمام بالماورائيات شديد الاعتداد بنفسه وأرضه يسعى لتحصين ذاته من خلال اندماجها بالبيئة والمكان والجماعة التى ينتمي إليها .لا يحتكم للنظام الرسمي بسهولة ولا يعترف له قط بحق السلطة المطلقة؛ مشبع بنزعة التمرد على كل ما لا يستجيب لقناعاته سواء كانت صحيحة أم خاطئة في مصلحته أو ضدها[(١)] .

وعن أثر هذا الوضع الاقتصادي على دولة الهادي فمن حيث المبدأ فإن إمكانية قيام الدولة كظاهرة اجتماعية ترتبط بحاجة المجتمع وبمستوى التطور الاجتماعي وبتوافر الشروط المادية والمعنوية التي تهيء لعملية الانتقال من القبيلة إلى الدولة.

---

(١) محمد عبده الزغير(٢٠٠٣)، **"عنف الأطفال: الأبعاد الاجتماعية لظاهرة العنف لدى الأطفال في المجتمع اليمني"**، مطابع الشرطة للطباعة والنشر والتوزيع صـ٧٣-٧.

والإنتاج الزراعي والحيـواني والقطـاع الحـرفي القطاعـان الـسائدان آنذاك لا يوفران فائضاً اقتصادياً يزيد عن الحاجة الضرورية للمجتمـع، والعائدات الاقتصادية التي تستحـصلها خزينـة الدولـة لا تفـي بالحـد الأدنى من الاحتياجات الأساسية للدولة التي تمكنها من بـسط نفوذهـا وسلطتها لما يتطلبه ذلك من وفرة في العدد والعدة وفي المـال والرجـال، وتزداد حاجتها كلما توسعت سـلطتها؛ ومـصادر تمويـل الدولـة كانـت تعتمد على ما تفرضه من زكاة على الأصناف المختلفة للزراعـة والثـروة الحيوانية إضافة لغنائم الحرب، وكانـت الـسياسة الماليـة لدولـة الهـادي رغم تشددها في قبض أموال الزكاة لا تسمح بإرهاق المزارعين بفـرض مزيد من الضرائب كما سبق؛ الأمر الذي تسبب في العديد مـن المتاعـب لدولته ، فمن ناحية أدى العجز في الإنفاق عـلى الجنـد إلى تـسربهم مـن صفوف معسكر الهادي وخضوعهم للإغراء بزيادة رواتبهم للانصراف عنه واللحاق بمعسكرات خصومه، وقد اضطر الهـادي إلى الانـسحاب من صنعاء بسبب العجز عن الوفاء بالنفقات اللازمة للبقاء فيها بعـد أن رفض أهل صنعاء إقراضه، ومن ناحيـة أخـرى كـان تـشدد الهـادي في قبض أموال الزكاة كاملة تجعله يصطدم بالقبائل خاصة القبائل القويـة، فالقبائل ذات المنعـة تعـودت أن تمـنح ولاء سياسـياً شـكلياً للـسلطات

المركزية مقابل إعفائها كليا أو جزئياً من دفع الزكاة أو أي أتاوات أخرى وخاصة رجالها الأقوياء والنافذون، وكان الهادي يصر على أخذ الزكاة من القوي والضعيف على حد سواء كما أن شيوخ العشائر تعودوا -بحسب الأعراف القبلية- على أن جباية المستحقات من اختصاصهم وكانت السلطات السابقة تفاوضهم على مبالغ مالية يدفعونها مقابل إطلاق أيديهم في المستحقات لضمان ولاء قبائلهم للدولة.

ومن ناحية ثالثة فإن الإنتاج الزراعي أو الاقتصاد الزراعي يسهم في الحفاظ على الوضع الاجتماعي ليبقى على ما هو عليه، وعلى تماسك البناء القبلي بما له من مفرزات على الوضع السياسي والثقافي خاصة في المناطق الجبلية، والشحيحة الأمطار، وقد عزت دراسة المرصد اليمني قوة التأثير السياسي لقبيلة حاشد وبكيل مقابل محدودية الأثر السياسي لقبائل حمير ومذحج وكندة إلى طبيعة الدولة الزيدية التي لم تؤسس أي مؤسسات حكومية كما قالت في حين أن القبائل الأخيرة شهدت قيام بعض الدول التي اتسمت بطابع مؤسسي مثل الدولة الأيوبية والرسولية والعثمانية والاحتلال الإنجليزي.

إلا أن ماذكرته دراسة المرصد لا يستند إلى أي دليل منطقي، فضعف البناء القبلي هنا وقوته هناك فرضته عوامل اقتصادية وجغرافية كما تؤكد الدراسات، فالمناطق الزراعية في حاشد وبكيل هي الأقل خصوبة وأمطارها قليلة مقارنة بالأراضي الأكثر خصوبة في السهول التهامية فضلا عما توفره الموانئ البحرية من حركة تجارية، فكان المستوى المعيشي لهذه المناطق أفضل إضافة إلى أنها مناطق سهلية تتوفر فيها فرص أفضل للإشراف الحكومي وتسهيل حركة الجيش، بعكس التضاريس الوعرة لأغلب مناطق حاشد وبكيل التي تعيق تحرك الجيش، وتسهل حركات التمرد وتعيق من أمر الإشراف المركزي للدولة، وقد شكلت التضاريس في المناطق الشمالية عائقاً كبيراً أمام القوات العثمانية المزودة ببعض الأسلحة الحديثة التي تجرها العربات.

وما سبق لا يعني أن الدول المشار إليها كانت تنعم بالاستقرار، فالدولة العثمانية وإن تلقت الضربات الموجعة في الإقليم الشمالي إلا أنها لم تنعم بالهدوء في كل المناطق اليمنية، والدويلات الأخرى كذلك لم تستطع الصمود لأكثر من ثلاثة أجيال كما لم تنعم كثيراً بالاستقرار، وقامت فيها أكثر من حركة للتمرد رغم التسهيلات الاقتصادية والجغرافية، ولم تستطع أيٌّ منها مد نفوذها إلى المناطق الجبلية إلا لفترات

يسيرة في حين أن الدولة الزيدية استطاعت أن تمد من عمرها لقرون مديدة وأن تصمد لعاديات الدهر؛ لأنها كانت تملك من عناصر القوة وأسباب البقاء أكثر مما لدى الدويلات الأخرى.

وربما أن الأكثر وجاهة أن تماسك البنية القبلية استطاع أن يخترق الدور السياسي والفكر السياسي للزيدية فالتنافس بين زعماء القبائل تحول خاصة في حالات ضعف الدولة الزيدية إلى تنافس سياسي زيدي-زيدي بين القيادات الروحية والسياسية وأصبح لكل قبيلة رموزها الروحية والقبلية، وكل قبيلة تتعصب لشيخها وإمامها واستطاعت الثقافة القبلية أن تعكس نفسها في بعض جوانب الفكر السياسي والفقهي للزيدية.

خاتمة:

أي دعوة إصلاحية شاملة كدعوة الهادي الرسي يكون نجاحها بقدر ما يتوفر لها من تسهيلات اجتماعية واقتصادية ومعرفية، واليمن لم يكن البيئة التي توفر مثل هذه التسهيلات اجتماعياً.

تتمتع اليمن قديما وحديثا ببنية اجتماعية عصبوية قبلية، وتُعد القبيلة من أكثر العناصر الاجتماعية والسياسية فعالية فيه ويمتاز بوفرة قبائله، وقد زاد من تعقيد الوضع الفوضى السياسية وانعدام الوحدة السياسية والحروب القبلية التي لا تنتهي حتى تبدأ وكثرة الطامحين المناوئين للهادي.

ومع أن القبائل اليمنية أخذت منذ (٦٢٨م/ ....هـ) في الانضمام إلى الدين الجديد إلا أنه لم يطرأ على الوضع الاجتماعي تغييرات جوهرية، وقبيل وصول الهادي كانت الحياة الثقافية شبه منعدمة فقبل أن يؤسس الهادي مدينة صعدة -التي أصبحت فيها بعد مركز إشعاع حضاري وعلمي- لم يكن هناك حراك ثقافي نظير ماهو كائن في الكوفة والبصرة والقاهرة ..من بلدان العالم الإسلامي .

وكانت مجموعة من العوامل قد أدت إلى فقدان اليمن ما لها من حيوية اقتصادية، وبقي القطاع الزراعي والحيواني ركيزة الاقتصاد اليمني بالرغم من أنه لا يوفر فائضاً يزيد عن الحاجة الضرورية للمجتمع، وكان هذا الوضع الاقتصادي يسهم في الحفاظ على الوضع الاجتماعي ويزيد من تماسك البناء القبلي بما له من إفرازات على الوضع السياسي.

وقد شكل هذا الوضع أكبر تحد لدولة الهادي ووقف عائقا أمام مشروع الهادي الإصلاحي الذي كان يتعارض مع الوعي القبلي السائد وأيديولوجيا التضامن القبلي والتناصر العصبي، وكان تمفصل تجربته السياسية على العقيدة يشكل اختراقا للقبيلة وهو ما جعل النخب القبلية التي تعد أهم القوى السياسية تقف في وجه الهادي منذ اليوم الأول .

ورغم النجاحات النسبية التي حققها الهادي إلا أنها لم تكن بحجم طموحات الهادي، ولا الجهود الضخمة التي بذلها من أجل تطويع المارد القبلي، وقهر الواقع الاجتماعي، ومع أنه كان قد أبدى تردده في الذهاب إلى اليمن فإنه ربما أخطأ في تقدير إمكانات الواقع اليمني الاجتماعية والاقتصادية.

قائمة المراجع:

١- أحمـــد عطـــا الله عـــارف (١٩٩١)مقدمـــة في دراســـة الاتجاهات الفكرية والسياسية في اليمن، ط١، المؤسسة الجامعية للنشر – بيروت.

٢- أحمد شرف الدين (١٩٦٤) اليمن عبر التـاريخ دراسـة جغرافيـة تاريخية سياسية شاملة، ط٢ص١٣٦.

٣- أحمد الشامي (١٩٨٠)جناية الاكوع على ذخـائر الهمـداني، ط١، دار النفائس ص٧١-٧٧ .

٤- أحمد أمين، ضـحى الاسـلام، ط١٠ جــ١، دار الكتـاب العـربي بيوت لبنان ص٢٠ .

٥ - اغنـاطيوس غويـدي (١٩٨٦) محـاضرات في تـاريخ الـيمن ت ابراهيم السامرائي ط١ دار الحداثة ص ٩٦.

٦- أنباء الزمن في اخبار اليمن من سـتة ٢٨٠-٣٢٢، مكتبـة الثقافـة الدينية ص ١٧ .

٧- توفيـق المـديني (١٩٩٧) المجتمـع المـدني والدولـة الـسياسية في الوطن العربي/ منشورات اتحاد الكتاب العرب ص٢٩٥.

٨- جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، المجلد الثاني، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان ص٤٠٠ .

٩- الحسن حسام الدين حميد بن احمد المحلية الحدائق الوردية في مناقب ائمة الزيدية (مخطوط)ج٢، ص١٥.

١٠- حسين خضيري أحمد (١٩٩٦) قيام الدولة الزيدية في اليمن ٢٨٠-٢٩٧، مكتبة مدبولي ص٦٢-١٢٢.

١١- حسين العرشي، بلوغ المرام، دار الندوة الجديدة -بيروت ص١٨٤.

١٢- دراسة غير منشورة عن السلوك الانتخابي لقبائل المغرب ص٢٧.

١٣- سيف الدين القصير(١٩٩٣)، ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن، دار الينابيع – دمشق ص١٨ .

١٤- طه حسين (١٩٢٥) فلسفة ابن خلدون الاجتماعية، ت محمد عبدالله عناق ـ ط١ مطبعة الاعتماد – مصر ص١٠٨ .

١٥- عباس العقاد (١٩٦٨) عبقرية الامام علي، دار الكتاب العربي، بيروت .

١٦- عبدالرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر - بيروت ص٢٠٥.

١٧- عبـــدالله عبـــدالوهاب الـــشماحي (١٩٨٥) الـــيمن الانـــسان والحضارة ط٣، منشورات المدينة.

١٨- عبدالله البردوني (٢٠٠٦) اليمن الجمهوري، ط٦.

١٩- علي بن محمد العلـوي (١٩٨١) سـيرة الهـادي، تحقيـق سـهيل زكار ، ط٢ دار الفكر - لبنان ص٤٨.

٢٠- محمد خاتمي (٢٠٠٤) الـدين والفكـر في شرك الاسـتبداد، ت ماجد الغرباوي ط٢، دار الفكر المعاصر – دمشق .

٢١- محمد سعيد العشماوي (١٩٩٢) الخلافة الاسلامية، ط٢، سـينا للنشر – مصرص١٤٤.

٢٢- محمد نجيب بوطالب (٢٠٠٢)سوسيولوجيا القبيلة في المغـرب العربي، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية–بيروت ص٥٥.

٢٣- محمد عابد الجابري (١٩٩٤) معالم نظرية خلدونيـة في التـاريخ الاسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية –بيروت ص١٦٨.

٢٤- مجموعة من الباحثين (٢٠٠٩) القصر والـديوان الـدور الـسياسي للقبيلة في اليمن ،المرصد اليمني لحقوق الانسان – صنعاء ص١٧.

٢٥- محمد أبو زهـرة (١٩٥٩) الإمـام زيـد حياتـه وعـصره - اراؤه وفقهه،المكتبة الاسلامية بيروت ص٧٢.

٢٦- محمد عودة ، اسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية للطباعة وللنشر- بيروت ص ٢٠٧ .

٢٧- محمد عبده الزغير(٢٠٠٣) عنف الاطفال الابعاد الاجتماعية لظاهرة العنف لدى الاطفال في المجتمع اليمني، مطابع الشرطة للطباعة والنشر والتوزيع ص٧٣-٧.

٢٨- مسعود ظاهر (١٩٨٦) المشرق العربي المعاصرمن البداوة الى الدولة الحديثة ط١، معهد الانماء العربي، بيروت ص٣٦.

٢٩- كارل بروكلمان (١٩٧٣) تاريخ الشعوب العربية تنبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ط٥، دار العلم للملايين -بيروت ص١٨ .

٣٠- ورقة بعنوان الزيود ل ر.ب.سيرجنت منشورة على موقع مركز التراث والبحوث اليمني http://yemenhrc.com/articles.aspx .

٣١- ورقة بعنوان "ثلاثية الدولة والقبيلة والمجتمع المدني- مقارنة سوسيولوجية الدور السياسي للقبيلة في اليمن وتحديد علا قتها وموقعها بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي"لمحمد النعماني .

٣٢- يحيى بن الحسين الهاروني (١٩٩٦) الافادة في تاريخ ائمة الزيدية، تحقيق محمد عزان، ط١، دار الحكمة اليمانية - صنعاء، ص١٣٤ .

فهرس المحتويات

هذا الكتاب -- ٥

مقدمة -- ٧

مدخل: -- ١١

الهادي المفكر والمناضل: ---------------------------------- ١٤

التفكير في استثمار ظروف المرحلة : ------------------------- ٢٠

الأخصائص الأخلاقية في حركة الهادي الإصلاحية ------------------ ٣٢

جدل الظروف الموضوعية للمجتمع اليمني وحركة الهادي الإصلاحية ----- ٣٥

أولاً: السمات الأساسية للمجتمع القبلي: ------------------------- ٣٧

ثانياً: الأوضاع الاجتماعية والسياسية في اليمن قبل قدوم الهادي:------- ٤٣

ثالثاً: أثر الأوضاع على تجربة الهادي السياسية: ----------------------- ٥٣

١ . الهادي يصطدم بالقبيلة (مقاومة السلطة المركزية): ------------------ ٥٣

٢ . السياسة المبدئية للهادي (مثالية الهادي): ------------------------- ٥٩

٣ . القوى الاجتماعية المناوئة للهادي وطبيعة دورها السياسي : ----- ٦٦

٤ . القوى الاجتماعية المناصرة للهادي--------------------------- ٧٤

٥. السلطة الاجتماعية للهادي (الشرف الاجتماعي) : ---------- ٨٠

٦. المؤثرات الثقافية : -------------------------- ٨٧

٧. المؤثرات الاقتصادية: ------------------------- ٩١

خاتمة: --------------------------------------٩٩

قائمة المراجع: ----------------------------١٠١

فهرس المحتويات ----------------------------١٠٥